# مصرع ثورة

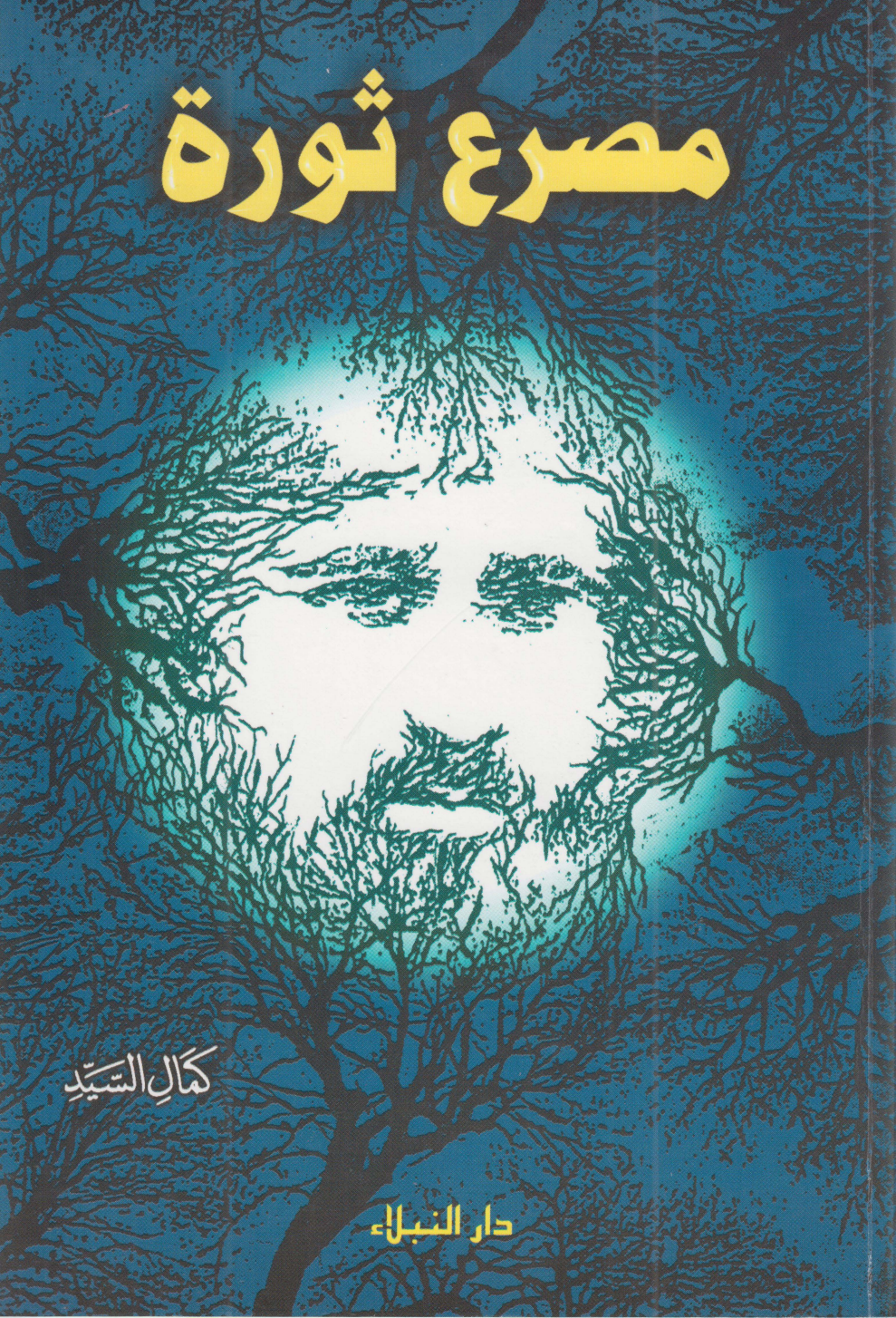

كمال السيد

دار النبلاء

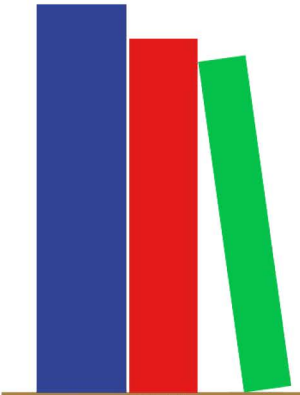

# مكتبة
# مؤمن قريش

لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه.

الإمام الصادق (ع)

moamenquraish.blogspot.com

مصرع ثورة

جميع الحقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

دار النبلاء
بيروت - لبنان
حارة حريك - ص.ب ٨٦٠١/١١ - هاتف: ٨١٤٢٩٤/٠٣ خليوي

كمال السيّد

# مصرع ثورة

أول كتاب بالعربية عن ثورة الغابة « ١٩١٤ ـ ١٩٢١ »

المسار السياسي في ايران من صرخة الافغاني وحتى سقوط القاجار

دار النبلاء
بيروت - لبنان

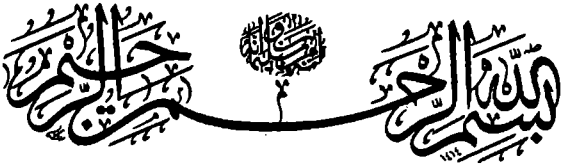

# الإهداء

الى السيد محمد خاتمي رئيس الجمهورية الايرانية..
أقدّم هذا الكتاب..
خطوة متواضعة في طريق الحوار..
حوار الحضارات..

**كمال السيد**

# المدخل

يمكن تسمية الفترة بين نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين بالحقبة الانكليزية في العالم ؛ فخلال تلك المدّة تمكن البريطانيون من بسط نفوذهم امتلاكاً وهيمنة على مساحات شاسعة بلغت حوالي ٣٤,٠٠٠,٠٠٠ كم٢ يسكنها ٤٤٠,٠٠٠,٠٠٠ انسان وقد بدأ الانكليز بسط نفوذهم في الساحل الجنوبي من ايران ثم بدأت سفارتهم ومفويضاتهم في تعميق هذا النفوذ باستمرار .

وفي الشمال الايراني كان الدبّ الروسي يمضي قدماً في قضم الارض الاسلامية والايرانية باتجاه الجنوب ، فخسرت ايران مساحات مترامية في القفقاز في فترات وجيزة ؛ فيما كان الشاهات وزعماء البلاد لا ينفكون في توقيع المعاهدات المذلّة فجاءت معاهدة گلستان[1] في ١٨٢٦ واعقبتها اتفاقية «تركمن چاى»[2] بعد خمسة عشر عاماً اثر حرب استمرت عامين احتلت القوات الروسية مناطق اضافية وواصلت تقدّمها باتجاه

تبريز التي سقطت مع بعض المدن الاذربيجانية الأخرىٰ .

ومن ذلك الوقت فرض الروس سطوتهم وبسطوا نفوذهم في ايران بقوّة وكانوا يشاركون الشاه وربّما يسيّرونه في كثير من الاحيان في إدارة البلاد .

وكان من الطبيعي ان يحتدم الصراع بين الدب والأسد حول ايران والذي اخذ بالتفاقم بشدّة ولم يهدأ إلّا في حلول سنة ١٩٠٧م حيث اعلنت الامبراطوريتان عن اتفاقهما (تقسيم ايران الى ثلاث مناطق ؛ منطقة الشمال للنفوذ الروسي ومنطقة الجنوب الغربي للنفوذ البريطاني ومنطقة محايدة في الوسط حيث تدخل طهران العاصمة فيها) .

وفي خضمّ الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ وما اعقبها من نتائج سعت بريطانيا الىٰ دفع ايران باتجاه الغرب وكانت خططها تكلل بالنجاح في تركيا فقدمت «اتاتورك» مثلاً كبطل قومي ، وراحت تبحث عن بطلها القومي في ايران وسرعان ما عثرت عليه في فوج «القوزاق». وفي شخصية ضابط الصف الأمّي رضا مير پنج[3] .

وفي تلك الحقبة العاصفة ظهر الثائر ميرزا كوچك خان الذي بلورت ضميره الحوادث السياسية والتغيرات الاجتماعية العاصفة منذ صيحة جمال الدين الافغاني[4] ، فقد

ولد الثائر الايراني ١٨٧٧م واستشهد سنة ١٩٢١، وامضىٰ نصف عمره القصير في الجهاد والمقاومة.

ولقد ظلّت ثورة الغابة بعيدة عن الضمير العربي الىٰ أن هوىٰ قائدها وسط الثلوج في مرتفعات «خلخال»[5].

ومن المؤسف جدّاً أن القارىء العربي يعرف الكثير عن «جيفارا»[6] و «زاباتا»[7]، ويقف مستفهماً أمام ميرزا كوجك خان، وثورة الغابة، التي تعدّ في الواقع ملحمة انسانية في الجهاد الاسلامي.

وفي رأيي أنه قد آن الأوان في عبور هذه الشخصية المجاهدة حدود «گيلان»[8] وايران لتأخذ مكانها في الضمير الانساني؛ وسيتعرّف القارىء العربي ولأول مرّة على تلك الجذوة المضيئة في غابات الشمال الايراني والتي ظلّت تتوهج مدّة سبعة أعوام في ظروف عالمية عاصفة.

# ايران ...

# المشهد السياسي

## من صيحة الافغاني وحتىٰ نهاية حكم القاجار

هاهي كلمات الافغاني جمال الدين ، تسافر في الأرض الاسلامية فتوقظ الضمائر وتهب النفوس الأمل ، ما يزال جمال الدين يقاوم المدّ الانكليزي في الشرق النائم . . في افغانستان والهند ، ومصر والسودان وفي ايران . . وفي كل الارض الاسلامية الممتدة من «طنجة الى جاكرتا» .

ولم يكن جمال الدين ابن اقليم أو بقعة ما لقد كان ابن الاسلام ، والرجل الذي هزّت كلماته الغاضبة كل الاشياء . .

وقف وحيداً في مواجهة بريطانيا (العظمىٰ) . . بريطانيا التي تنوي تحطيم الاسلام . .

ان صيحة جمال الدين ولا شك هي وراء كل مشروع نهضوي في الشرق المسلم . ومن هنا جاءت حركة «هيئت اتحاد اسلام» التي اسسها جمع من علماء الدين ورجال السياسة ومنهم ميرزا كوچك خان ، ولم تكن هذه الحركة سوىٰ استجابة لصيحة جمال الدين[9] .

ويبدو من خلال استقصاء تاريخي سريع ان النفوذ الاجنبي وبخاصة الانكليزي أولاً ثم الروسي لم يكن ليواجه مصاعب

حقيقية في التغلغل ، فعندما كان الروس يقضمون الأرض الايرانية باتجاه تبريز وخراسان كان البريطانيون يعمّقون نفوذهم في طهران مستفيدين من سطوتهم في الجنوب الايراني على امتداد السواحل .

ولعلّ أول مواجهة حقيقية حصلت بين الوجود الاجنبي والارادة الشعبية هي ثورة «التنباكو» ، التي جاءت اثر منح «ناصر الدين شاه»[10] الميجر تاليوت البريطاني امتيازاً في حق استثمار التبغ مدة خمسين سنة مقابل ١٥,٠٠٠ جنيه استرليني و ٢٥٪ من ارباح الشركة الانكليزية سنوياً .

وبالرغم من ان فتوىٰ المرجع الكبير محمد حسن الشيرازي[11] والتي تلخصت في كلمات معدودة[12] قد حسمت المواجهة لصالح الشعب المقهور إلّا انها جاءت بعد جهود مخلصة ومستمرة وقف في طليعتها السيد جمال الدين ؛ كما يبدو ذلك من رسالته المطولة[13] .

وقد اضطر ناصر الدين شاه الىٰ الغاء الامتياز فيما راحت بريطانيا تنظر بعين الحقد لعلماء الاسلام .

وقد ظل عام ١٨٩١م ١٣٠٨هـ نقطة مضيئة وملهمة للاحرار ومالبث ناصر الدين شاه أن سقط صريعاً إثر رصاصات اطلقها أحد تلامذة السيد جمال الدين وذلك سنة ١٨٩٦م ؛

لتنتهي بذلك حقبة سوداء امتدت نصف قرن من الزمن .

وفي عام ١٨٩٥ توفي السيد الشيرازي الذي وجه ضربة مدمّرة للمصالح والسياسية البريطانية في ايران ، وفي عام ١٨٩٨ توفي وفي ظروف غامضة موقظ الشرق السيد جمال الدين[14] .

ثم يأتي انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بال في سيوسرا في نفس العام ليدخل ضمن اضواء المسرح السياسي .

اننا نذكر ذلك لأن هذه الحوادث قد اسهمت في بلورة وعي ميرزا كوچك خان الذي ولد سنة ١٨٧٧م ١٢٩٨هـ ، انه الآن في رشت يدرس العلوم الدينية ، وربّما في طريقه الىٰ طهران لاستكمال دراسته في العاصمة التي تشهد تحولات اجتماعية وسياسية مصيرية .

لقد اختفىٰ عدوّ الانكليز اللدود ، لم يعد يراه أحد أو يسمعه أحد ، ولكن كلماته النافذة تتحول الىٰ بذور وجدت لها هنا وهناك تربة طيّبة لتنبت وتشتد وتؤتي أكلها ولو بعد حين .

لقد هزّ جمال الدين بدعوته الى الثورة ثوابت القرون الماضية في فكرة الانتظار التي يؤمن بها العالم الشيعي ، حتىٰ اننا نجد حركة «السربداران»[15] ونجاحها في اقامة دولة مجرّد

مقطع زمني عابر وفي مساحة جغرافية محدودة .

فالواقع الديني الذي عايشه جمال الدين يرفض الىٰ حدّما فكرة الثورة وقيادة التجربة السياسية[16] ، لما يترتب على ذلك من اغتصاب لسلطة الامام[17] .

فحركة «السربداران» لم تأت تطوّراً في الفكر السياسي الشيعي بقدر ما كانت وليدة حادث استثنائي اسهمت الظروف في تحويله الىٰ ثورة[18] .

## المشروطة . . البحث عن هوّية

لقد اسهمت ثورة التنباكو ولا شك في بلورة الضمير المسلم ودفعت به خطوة نحو الأمام ، ولقد كانت ايران آنذاك تعيش محنتها بين نارين ؛ نار الاستبداد القاجاري الذي يقمع بشدّة كل دعوة للتنفس قليلاً[19] ونار الوجود الاجنبي الذي اصبح ظلّه ثقيلاً بدرجة لا تطاق .

وهكذا بدأ التفكير بنظام دستوري يحدد سلطة الشاه وبدأ الحديث علناً في طهران عام ١٨٩٤م من على أعواد المنابر[20] .

ولقد أدىٰ التطور في الطباعة وتأسيس دار الفنون ، والمدارس العصرية واستقدام اساتذة ومدرسين أجانب اضافة الىٰ ايفاد طلاب ايرانيين في بعثات دراسية الىٰ الخارج

خاصّة الدول الغربية الىٰ جانب انتعاش حركة الترجمة أدىٰ كل ذلك الىٰ بلورة وعي سياسي بما يجري علىٰ الساحة العالمية .

فاذا وضعت الصورة الىٰ جانب فساد الحكم وعدم كفاءة ملوك القاجار الدين باعوا البلاد الىٰ الاجنبي بثمن بخس نكتشف وميض النار الذي يتأجج تحت الرماد .

وفي تلك الفترة من الزمن كانت ايران ضحية اطماع لاحد لها من الروس والانكليز ، ولقد انشب الدب والأسد مخالبهما في البلاد ، وكان رؤساء الوزراء والقادة العسكريين ، وحكام المدن ينحّون ويبعدون بأمر من السفارتين الروسية والبريطانية واصبح استقلال ايران أمراً لا معنىٰ له ، وهكذا حدثت القطيعة بين الحكومة والشعب .

وكانت مشكلة ايران تتجسد في بعدين يرتبط أحدهما بالآخر الاستبداد والوجود الاجنبي .

وما دام ان اكتشاف المرض لا يعني بداهة معرفة الدواء ، فإن الحل لم يكن ليلوح في الأفق بشكل واضح ، فلم يكن هناك فيما يبدو عزم أكيد علىٰ قيادة التجربة السياسية من لدن علماء الدين ، فغاية ما يُطمح اليه آنذاك هو مكافحة الاستبداد ، وتخليص البلاد من الوجود الاجنبي .

وباستثناء الشيخ الشهيد فضل الله نوري[21] ، لم يكن أحد

ليفكر في أن تهيمن الشريعة الاسلامية لتكون قانون البلاد ، لأن ذلك سيكون مستحيلاً في غياب المعصوم أولاً ثم انه سيعدّ اغتصاباً لسلطة الامام الغائب .

وفي خضم تلك الظروف صدر كتاب «تنبيه الأمّة وتنزيه الملّة» لمؤلفه الشيخ محمد حسين النائيني[22] ، فكان تأسيساً للفقه السياسي الاسلامي الحديث .

وقد حلّ الكتاب اشكالية الحكم بالشكل الذي يلزم الحكومة بدستور يحدد حقوق وواجبات الدولة ، فيما يشرف مجموعة من الفقهاء علىٰ عملية تطبيق الدستور الذي يجب إلّا يتضمّن أية مادّة تصطدم مع الاسلام .

وهكذا تبلور موقف اسلامي جديد يجعل من منع الحكم المطلق وتأسيس مجلس وطني فريضة دينية[23] .

وكانت الشرارة التي اضرمت نار الحركة الدستورية هو ارتفاع اسعار السكر ارتفاعاً فاحشاً ، ولعلّ هذا يعود الىٰ اجراءت المسيو «نوز» البلجيكي وكان يرأس الجمارك الايرانية !

ومما زاد الوضع سوءً وقوع صورة للأخير في أيدي الفقهاء حيث يظهر فيها مرتدياً الزي الديني في حفلة تنكرية اقامتها إحدىٰ الجاليات الاجنبية في طهران .

واعتبر هذا العمل سخرية من الفقهاء الذين ردّوا علىٰ ذلك بالاعتصام في احدىٰ الساحات العامّة وما لبثت الاوضاع أن تفاقمت لدىٰ إقدام «عين الدولة» رئيس الوزراء آنذاك باهانة التجار وتعريضهم لعقوبات قاسية حيث تعرّضوا للضرب بـ«الفلقة» أمام الملأ العام ، فقرر التجار اللجوء الى مرقد عبدالعظيم ، وبدأت اعداد اللاجئين تتضاعف حتى وصلت الىٰ عشرة آلاف معتصم .

وهنا هبّ العلماء لقيادة هذا الاحتجاج الواسع فانضم كل من السيد محمد الطباطبائي ، والسيد عبدالله البهباني والشيخ فضل نوري الىٰ جموع الشعب الغاضب .

ومن هناك في جنوب طهران في ذلك المكان المقدس أعلن عن مطاليب الاصلاح السياسي .

وقد حاول عين الدولة رئيس الوزراء الذي اتسم بالقسوة قمع الاعتصام واقتحام المرقد ولكنه فشل في ذلك .

ثم قطع تيار الماء والكهرباء مدّة أربعة أيام ، فعدّ موقف الحكومة استمراراً لممارسات الحكم الأموي .

وأخيراً فك طوق الحصار ، وسمح للعلماء بمغادرة طهران الى قم في خطوة عرفت آنذاك بـ«الهجرة الكبرىٰ» التي أخذت ابعاداً خطيرة اضطرت الشاه الىٰ اصدار مرسوم يقضي بعزل

عين الدولة والموافقة علىٰ تأسيس «ديوان العدالة» وذلك في ١٤ جمادي الثانية ١٣٢٤ .

واستمر العلماء في اعتصامهم حتىٰ اعلان الشاه عن موافقته على «الدستور» وتشكيل «المجلس الوطني» وقد أذيع «فرمان مشروطيت» في ١٥ آب ١٩٠٦ لتصبح ايران ولأول مرّة دولة دستورية .

وقد اجريت الانتخابات النيابية بعد شهر حيث افتتح المجلس لتأتي تشكيلته ستون نائباً عن طهران بينهم أمراء القاجار (٤ نواب) العلماء والطلاب (٤ نواب) ، التجار (١٠ نواب) الملاكون والفلاحون (١٠ نواب) ، ومن اذربيجان (١٢ نائباً) وجيلان وتالش (٦ نواب) ، ما زندان ومدن الشمال (٦ نواب) وقزوين وسمنان (٦ نواب)[24] .

وعندما عقد المجلس دورته الأولىٰ كانت موادّه البالغة (١٥) مادّة قد جاءت نسخة من قوانين الدول الاوربية تقريباً باستثناء المواد الهامشية من أجل اضفاء الصبغة الاسلامية .

وقد صادق الشاه مظفر الدين وولي عهده محمد علي شاه علىٰ الدستور ، ومالبث مظفر الدين شاه أن توفي ليتربع علىٰ العرش ابنه محمد علي .

## تقاسم النفوذ . . . احتواء المشروطة

في عام ١٩٠٧ جلس الدبّ والأسد يتقاسمان الأرض والنفوذ ؛ وبعد مفاوضات سرّية طويلة اعلنت الامبراطورتان انهما قد وضعتا معاهدة تم بموجبها تقسيم ايران الى ثلاثة مناطق منطقة نفوذ روسية في الشمال ومنطقة للنفوذ البريطاني في الجنوب اما المنطقة الوسطىٰ فاعتبرت منطقة محايدة ، ولا يعني الحياد هنا خروجها عن الهيمنة الاجنبية بل تكون المصالح الروسية والبريطانية مشتركة ومتساوية .

وكانت الخطط البريطانية تتحرك باتجاه تجذير النفوذ من خلال التشجيع على حركات دستورية لانه سوف يأتي من يضمن مصالحها عندما يأتي دور تشريع القوانين التي ستكون اجنبية بسبب طبيعة الزعامات الدستورية التي يمكن زجّها في المعركة ، ولهذا نرىٰ ان التجربة في ايران سوف تتكرر في تركيا وفي العراق فيما بعد .

كانت بريطانيا فيما مضىٰ تواجه الاتجاه الدستوري في ايران ولكنها قررت مساندة «المشروطة» ونظمت اعتصاماً في سفارتها بطهران حيث لجأ عشرة آلاف مواطن ايراني ، وهو ما أثار حفيظة الشيخ الشهيد النوري الذي دعا الىٰ الاعتصام بالاضرحة والمساجد وطالب أن تكون المشروطة

«مشروعة» .

وفي هذه الفترة حدثت أزمة خطيرة داخل المجلس ، عندما حاول الشيخ الشهيد اضافة مادّة تسلب الاعتبار من كل القوانين المخالفة للشريعة ، وتشكيل لجنة دائمة من المجتهدين والفقهاء تقوم بدراسة اللوائح القانونية قبل المصادقة عليها ، وتعتبر آراء اللجنة ملزمة التنفيذ ، وتعدّ هذه المادّة أبدية وغير قابلة للتغيير ولكن تقي زادة رجل الانكليز أفشل المحاولة المخلصة لتمكين الشريعة من الحياة.

وعندها انسحب الشيخ النوري ليعلن ادانته للمشروطة التي «يطبخ رزّها في السفارة البريطانية» .

وفي يوم الاثنين ١٨ جمادىٰ الثانية ١٣٢٥ اصدر بياناً يوضح فيه بواعث موقفه الجديد من «المشروطة» ذكر فيه الاسباب التي دفعته الىٰ ذلك :

١ ـ مساس الصحف بكرامة النبي ﷺ والأئمّة الاطهار وعلماء الاسلام .

٢ ـ ارتكاب المذابح بحق الشعب واستمرار الاعتقالات .

٣ ـ صياغة الدستور الايراني بشكل جعله نسخة من الدساتير الاجنبية .

كما اقترح الشيخ النوري إدراج رسالة الآخوند الخراساني

في جهاد الكفار ضمن القانون الداخلي للمجلس .

وفي هذه الفترة العصيبة أُعلن عن محاولة لاغتيال الشاه ، لتكون ذريعة للانتقام من الحركة الدستورية ، فصدرت الأوامر الىٰ الجيش بقصف المجلس الوطني بالمدفعية ، والقي القبض على السيد محمد الطباطبائي والسيد عبدالله البهبهاني فابعد الأول الىٰ خراسان والثاني الى كرمنشاه ، ومن المثير غياب تقي زادة عميل الانكليز عن حضور الجلسة عندما تقررت ساعة القصف ! !

وتواترت البرقيات الىٰ النجف الاشرف تستنجد بالعلماء وتكشف عما يجري من مذابح في مختلف المدن الايرانية ، وكان استشهاد الواعظ الاصفهاني في طليعة الحوادث المريرة .

وحاول محمد علي شاه أن يناور فابرق هو الآخر الىٰ النجف مبرراً اجراءاته بانها احترازية من أجل استتباب الأمن وأنه ما يزال يؤيد «المشروطة» .

وفي ذلك المقطع التاريخي الحساس تصدّىٰ الآخوند الخراساني لقيادة حركة «المشروطة» تسانده هيئة من علماء النجف الاشرف في طليعتهم الشيخ محمد حسين النائيني الذي تولّىٰ تحرير البرقيات والبيانات التي كانت تصدر باسم

الآخوند الخراساني[25].

وعندما شعر الخراساني باليأس الكامل هاجم الشاه في بيان شديد اللهجة واتهم الحكم القاجاري بالخيانة وأنه كان السبب في ضياع الارض الاسلامية في القفقاز والتركمان والتركستان وبحر الخزر؛ وقد جاء في المقطع الأخير من البيان ما يلي:

« . . . ايها الضالّ المنكر للدين؛ أبوك هو الذي اصدر «المشروطة» ولكنك عندما تربعت علىٰ عرش السلطنة، وضعت كل الوعود تحت قدميك . . . ولقد سمعت بأنك أرسلت من قبلك الىٰ النجف من يشتري لك الذمم والضمائر غافلاً عن ان سعادة الشعب أفضل من أموالك، أنك تتظاهر باحترام الدين، ولكنك تعاديه وتخونه وتخون بلادك . . سوف أعود الىٰ ايران وسأعلن الجهاد»[26].

ووجه الخراساني نداءً الىٰ الشعب الايراني جاء فيه: «ان الدفاع عن أموال وأرواح المسلمين ومقارعة هذا السفاك الجبار من أهم الواجبات، وان دفع الضرائب لمأموري الدولة من اعظم المحرّمات»[27].

وكانت المؤشرات تؤكد رضا الانكليز عما يقوم به الشاه، فقد تغيب تقي زاده وأصدقاء الانكليز الاخرون عن المجلس

صبيحة القصف المدفعي الذي نفذه «ليافوف» الروسي قائد قوات الدرك في طهران !!

وتزامن ذلك مع انزال الانكليز قواتهم في السواحل الجنوبية واعتقال زعماء «المشروطة» في بوشهر ، وكان «السيد عبدالحسين اللاري» قد وقف الى جانب المشروطة وصعّد من مقاومة الاجانب باعلانه حرمة السلع الاجنبية بما في ذلك الشاي والسكر والسجائر .

وكان يرىٰ في التورط بها اضراراً أقلّها الاعتياد عليها وتحوّلها من الكماليات الىٰ الضروريات وعندها تصبح سلاحاً في يد الأجنبي ووسيلة للضغط[28] .

واسفر الشاه عن حقيقته ليعلن علىٰ الملأ في اكتوبر ١٩٠٨ حل المجلس معللاً بأن «افتتاح المجلس وتحقير الاسلام شيء واحد»[29] !

وتفاقمت الاوضاع لتصل حالة الانفجار الشعبي الهائل الذي ينذر بحمامات الدم سيما وأن قوّات «القوزاق»[30] التي انشئت لتكون نواة للجيش الايراني لم تكن سوىٰ أداة بيد الاجنبي .

واتخذ الصراع بين القيادة الدينية والشاه ابعاداً واسعة عندما كانت الفتاوى الثورية تعبر حدود العراق وايران الىٰ

تركيا وباكو والىٰ روسيا ؛

فقد وجه الخراساني الىٰ مسلمي باكو والمازندرني الىٰ روسيا نداءً لنجدة اخوانهم في تبريز التي تحاصرها قوّات الشاه[31].

وسجل الاذربيجانيون بقيادة «ستار خان»[32] ملحمة في المقاومة البطولية ، تركت صداها في ايران كلّها ، فتحركت عشائر بختيار بقيادة زعيمها صمصام السلطنة فسقطت اصفهان وتزامن ذلك مع نجاح انتفاضة شعبية في رشت ، فسيطر الثوار عليها وتم اعدام حاكمها المستبدّ .

وكانت تبريز ما تزال تقاوم الحصار وكان الجوع والقحط يهدّدان المدينة بالفناء ، ولكن الحوادث كانت تسير بغير صالح الشاه فقد توجهت التعزيزات العسكرية المزمع ارسالها الىٰ تبريز الىٰ طهران لتدارك خطوطها الدفاعية ، بعد أن أعلنت قوّات «المشروطة» في رشت واصفهان عزمها علىٰ احتلال العاصمة .

واستنجد الشاه بالقيصر الذي ارسل قوّاته علىٰ وجه السرعة فاحتلت المناطق المؤدية الىٰ قزوين لقطع الطريق علىٰ العاصمة ، ولكن القوّات الشعبية كانت اعرف بطبيعة الأرض فضاعفت من سرعة تقدّمها لتقتحم طهران من بوابة «يوسف

آباد» في فجر ٢٨ جمادي الثانية ١٣٢٧هـ ١٩٠٩م ، فيما لجأ الشاه مع اسرته الىٰ السفارة الروسية[33] .

## الاختراق الانكليزي :

وفي خضم تلك الحوادث العصيبة والمثيرة برزت السياسة الانكليزية لتسجل لها اكبر نجاح في اختراق الحركة الدستورية .

فقد تقرر السماح لمحمد علي شاه بمغادرة ايران بسلام مع تخصيص مرتب شهري قدره ١٠٠,٠٠٠ تومان !

اما عين الدولة فقد صدر عفو بشأنه وتغاضت حكومة المشروطة عن كل جرائمه في «تبريز» و«قوچان» كما اعتبر لياخوف الذي قصف المجلس بالمدافع غير مسؤول عن عمله لأنه كان يؤدي واجبه العسكري !!

كما اصبح «أمير بهادر» وزير الحرب في عهد الشاه أحد المتنفذين في حكومة المشروطة التي القت القبض علىٰ الشيخ فضل الله نوري ليقف أمام محكمة تزكم الانوف بعمالتها للانكليز[34] .

وتذكر المصادر التاريخية ان الخراساني حاول أن يوقف مسلسل الأختراق والانحراف عن الاهداف ولكن دون جدوىٰ

فعبر عن ذلك بمرارة[35] لدىٰ لقائه أحد قادتها الذي وصل النجف مبعداً بقرار من حكومة المشروطة نفسها !! .

وكان الشيخ فضل الله نوري قد تلقىٰ قبيل سقوط طهران دعوات من السفارات الروسية والعثمانية والهولندية لمنحه حق اللجوء وانقاذ حياته المهددة بالخطر وقد رفض الشيخ تلك العروض ، كما حاول السفير الروسي كسب الشيخ فأرسل علم بلاده ليرفعه فوق منزله لحمايته .

وقد حظيت هذه الخطوة بتأييد بعض انصار الشيخ ، ولكن الأخير رفض ذلك قائلاً : لقد قضيت سبعين سنة من حياتي تحت راية الاسلام ، ولا أريد أن اقضي بقية عمري تحت راية الكفر . . ردّوا العلم من حيث جاء .

وتذكر بعض المصادر ان الآخوند الخراساني قد أبرق[36] الىٰ طهران للحؤول دون اعدام الشيخ فضل الله ولكن البرقية اخفيت واحيطت بالكتمان من قبل عملاء الانكليز .

وفي غمرة تلك الملابسات اقتيد شيخ في السبعين من عمره الى ميدان المدفعية وسط طهران ليشنق وسط هتافات هستيرية تحيّي الدستور وتندّد بالاستبداد !

كما القي القبض علىٰ آية الله الزنجاني لمحاكمته رغم تقدّمه في السن (٩٢ عاماً) ولكن الخراساني بعث برقية شديدة

اللهجة ، فالغيت وتم ابعاده الىٰ العراق ؛

وفي التاسع من رجب سنة ١٣٢٨ تم اغتيال السيد عبدالله البهباني بأوامر شخصية من حسن تقي زاده فيما لزم اية الله الطباطبائي منزله بعد أن تلقىٰ تهديدات تحذره من نفس المصير !

العدوان الروسي :

كانت روسيا قد أرسلت قواتها لدعم محمد علي شاه ، الذي فرّ بعد سقوط طهران ، مخلفاً في الحكم ابنه احمد شاه ، وكان بقاء قوات روسيا يشكل هاجساً مقلقاً لمن يعرف مدىٰ الاطماع الروسية في البلاد .

ولذا كان الخراساني يشدّد علىٰ اجلاء الروس عن البلاد فقد وجه نداءه الىٰ مجلس الشورى حول هذه المسألة وجاء في جانب منه :

«لقد مضت عشرة اشهر علىٰ انعقاد الدورة الثانية وما نزال ننتظر بشرىٰ طرد الروس من ايران . .

لقد تلطخت «المشروطة» واستقلال ايران بل ديننا وروحنا الوطنية والانسانية بالعار ، وعلىٰ هذا ينبغي علىٰ الشعب الامتناع عن شراء البضائع الروسية كخطوة في طريق

الجهاد والصراع ضد الروس» .

وردّاً علىٰ هذا ارسلت الحكومة الروسية سفيرها في بغداد الىٰ النجف للقاء الخراساني واقناعه بالغاء فتواه غير أن الاخير رفض أصلاً لقاء السفير الروسي ، واكتفىٰ باستلام طلب تحريري يتضمن رغبة بلاده .

وفي ردّه على السفير أبرق الخراساني وطلب من حكومة روسيا سحب جنودها من الاراضي الايرانية ، وتجاهلت روسيا الطلب وحذرت عبر قنصلها في بغداد بانها ستردّ بالمثل .

وفي معرض ردّه اجاب الشيخ الخراساني :

«ان الامّة الايرانية تنشد الاستقلال واحترام الحقوق الدولية إن الحكومة الروسية تتجاهل هذه الحقوق ولا توجد مبررات للتدخل الروسي في ايران ، وان بقاء جنود روسيا في ايران يضر بأمن وتقدم البلاد»[37] .

وفي أواخر عام ١٣٢٨هـ صادق مجلس الشورى الوطني علىٰ استقدام مستشار اميركي للشؤون المالية وعلىٰ اثر ذلك تم استخدام مورغان شوستر مسؤولاً للخزانة الايرانية مدة ثلاث سنوات واقدمت روسيا علىٰ تعزيز قواتها العسكرية بعد أن وجهت انذاراً الىٰ الحكومة وهددت باحتلال طهران اذا لم

ترحّل الاخيرة المستشار الاميركي .

وفي مداولات مجلس الشورىٰ رفض الشهيد حسن المدرّس[38] والشهيد محمد خيابابي[39] تهديدات روسيا واعلن المجلس الوطني ذلك رسمياً .

وقد فوجئت روسيا بقرار الرفض ، وامهلت الحكومة الايرانية مدّة ٤٨ ساعة لاعلان قرارها بطرد شوستر واستخدام مستشار روسي أو انكليزي .

وبعد انتهاء مدّة الانذار اجتاحت القوات الروسية مناطق واسعة من الشمال الايراني وواصلت تقدمها باتجاه قزوين .

وكانت بريطانيا تؤيد ضمناً الموقف الروسي ، فعززت هي الأُخرىٰ قدراتها العسكرية في الجنوب .

واعلن الخراساني فتواه بجهاد الروس وتعطلت الدراسة في النجف وتعطّلت الاعمال في كثير من البلدان الاسلامية كالقفقاز والهند تضامناً مع ايران .

وأبرق الخراساني الىٰ مجلس الشورىٰ واعلن عزمه على المجيء الى ايران وقيادة حركة الجهاد ضد العدوان الروسي .

وهكذا بدأت الاستعدادات التي بلغت مداها بعد انباء الاجتياح الايطالي للاراضي الليبية .

وفي تلك اللحظات المصيرية أُعلن عن وفاة الخراساني

المفاجئة والتي تمت في ظروف غامضة .

وترىٰ بعض الدراسات التاريخية انه اغتيل بدس بعض انواع السموم في طعامه أو شرابه[40] وأن الانكليز كانوا وراء عملية الاغتيال فتعثرت اثر ذلك الاستعدادات ، ثم مالبثت ان اشتدّت بعد اقدام القوّات الروسية علىٰ قصف مشهد الامام الرضاﷺ بالمدافع[41] ، فدعت لجنة من العلماء الى عقد مؤتمر في الكاظمية ، وتقرر اعلان الجهاد ضد روسيا مرّة أخرىٰ ، وخلال المداولات تقرّر ايضاً ترك زمام المبادرة للحكومة الايرانية[42] التي احاطتهم علماً بعدم الحاجة اليهم !

## الحرب العالمية

في عام ١٩١٤ استيقظ العالم علىٰ دوي الحرب العالمية الأولىٰ وواجهت ايران محنتها الجديدة باجتياح الجيوش المتصارعة أراضيها لتتحول الىٰ مسرح للقتال .

واشتعلت الروح الوطنية في البلاد ، وفي طهران تشكلت «هيئت اتحاد السلام» من قبل مجموعة من العلماء ، وكان ميرزا كوچك خان الذي عاد الى طهران سنة ١٩١٢ بعد أن استعاد صحته قد اجرىٰ مفاوضات مع «هيئت اتحاد السلام» واصبح عضواً فيها ؛ ولم يكن هذا التشكيل سوىٰ ثمرة لكلمات

السيد جمال الدين الافغاني التي ترعرت في قلوب الاحرار .

وكان الهدف من «هيئت اتحاد السلام» هو انقاذ البلاد من ظروفها المأساوية .

ولم يكن هناك انسجام فيما يبدو حول الوسائل التي من شأنها انقاذ البلاد .

وكان ميرزا كوجك خان من دعاة الحلّ الثوري فالجهاد المسلح هو وحده الذي يمكنه ان يصنع شيئاً لانقاذ ايران من فساد حكومتها الضعيفة والاحتلال الاجنبي .

كانت القوّات الانكليزية قد احتلت الفاو وراحت تواصل تقدّمها باتجاه بغداد ، بعد أن أعلنت الامبراطورية العثمانية دخولها الحرب الىٰ جانب المانيا .

وقد هبّ العلماء لمواجهة الغزو الانكليزي ، فيما راحت بريطانيا تبذل قصارىٰ جهودها في الوصول الىٰ بغداد واحتلالها .

وفي هذه الفترة شنت الجيوش العثمانية هجوماً علىٰ بلاد القفقاز . وكانت القوات البريطانية التي تخوض حرباً ضارية مع الجيوش العثمانية في العراق قد احتلت بغداد ، اذ سقطت المدينة في ١١ آذار ١٩١٧ وراحت تواصل تقدّمها باتجاه الموصل . . امّا قوّاتها في ايران فقد ارتأت مرافقة القوّات

الروسية التي استدعيت اثر ثورة اكتوبر بعد إعلان روسيا انسحابها من الحرب العالمية .

كانت أهداف الانكليز تتلخص في ملء الفراغ الذي ينجم عن مغادرة الروس ايران وانتهاز هذه الفرصة لتشديد قبضتها على ايران بأسرها ، والتقدم لاحتلال القفقاز لمنع التقدّم الالماني في آسيا .

وكانت الثورة الروسية قد أربكت الاوضاع في تلك المنطقة وسادت الفوضىٰ القوات الروسية في ايران خاصّة بعد الصراع على السلطة بين البلاشقة والمناشفة ، والذي اسفر عن انتصار لينين زعيم البلاشقة فاعلنت حكومة الثورة خروجها من التحالف الذي كان قائماً بين حكومة القيصر وبريطانيا وهكذا وجدت المانيا الطريق مفتوحة الىٰ الهند وكذلك الاستفادة من منابع النفط في القفقاز .

وبعد استدعاء القوات الروسية للعودة الىٰ روسيا ، راحت تنهب في طريق انسحابها وتضرم النار في بيوت الأهالي العزل ، مما دفع بقوات الغابة الىٰ قطع الطريق عليها والاشتباك معها وارغامها علىٰ دفع تعويضات للمتضرّرين .

وقد ترك هذا الانتصار الحاسم صداه في ايران مما جعل الناس ينظرون بأمل الىٰ ميرزا الثائر الايراني المسلم .

وفي تلك الفترة كانت الحكومة الايرانية تعيش الحضيض في ضعفها ، فانبرىٰ بعض المخلصين الىٰ تشكيل حكومة مؤقتة مهمتها الدفاع عن البلاد ، وكان في طليعة اعضائها الشهيد حسن مدرس ، وقد اخفقت الحكومة المؤقتة في نضالها ضد القوّات الاجنبية ، فهاجر أعضاؤها الى تركيا .

وفي شمال ايران وجهت القوّات البريطانية بالتحالف مع القوات الروسية انذاراً الىٰ ميرزا كوجك خان باخلاء الطريق الىٰ القفقاز ، وكان الانكليز قد وظفوا القائد الروسي المتعاطف مع المناشفة في خدمتهم في التفاوض مع ثوار الغابة وحدّدت مدّة الانذار بـ٤٨ ساعة ولكن الانكليز وكعادتهم في الغدر وانتهاز الفرص باشروا الهجوم بعد ٢٤ ساعة فقط مستخدمين قوّاتهم الجوّية بشكل مكثف ، وتقدمت الدبابات الانكليزية وحدثت معارك ضارية في منطقة منجيل حيث تكبدت قوّات الغابة خسائر جسيمة .

### اتفاقية ١٩١٩ :

وفي آب ١٩١٩ عقدت حكومة (وثوق الدولة) معاهدة مع بريطانيا جاءت في الواقع استجابة لخطط انكليزية في الحكم غير المباشر الذي كان برنامجه يسير حثيثاً في تركيا وايران

والعراق .

وكـان النـفوذ الديـني قـد شـهد انـحساراً عـلىٰ الصـعيد السياسي وقاد حسن المدرس الذي انتخب مرّة أخرىٰ عضواً فـي البـرلمان مـعارضة عـنيفة ضـد الاتـفاقية التـي صـادرت استقلال ايران بشكل مذلّ .

وفيما كانت الحكومة العميلة تـهتز تـحت وقـع ضـربات الثـوار فـي گـيلان واذربـيجان ، وفـي داخـل البـرلمان ، كـان الانكليز في طريقهم الىٰ صناعة (البطل القومي) عـلىٰ غـرار مـا يحدث في تركيا في شخص مصطفىٰ كمال !

ووجد الانكليز ضالتهم في ضابط الصف في فرقة القوزاق الايرانية التي تركها القائد الروسي عائداً الى وطنه .

وقد استخدم الانكليز نفوذهم في تعيين رضا خان ميرپنج ليكون قائداً للفرقة المذكورة التي تحركت في منتصف ليلة ٢٢ شباط ١٩٢١ ليفاجيء طهران بانقلاب عسكري بالاشتراك مع ضياء الدين رجل الانكليز والعوبتهم .

وهكذا اصبح الاخير رئيساً للوزارء ؛ ورضا خـان وزيـراً للحرب وقائداً للجيش .

وقد ظلت اتفاقية ١٩١٩ سرّاً من اسرار تلك الحقبة المثيرة من تاريخ ايـران السـياسي إذ فـقدت ولم يـعثر عـلىٰ نسـختها

الاصلية حتى اليوم !!

ويبدو ان الانكليز قد احرزوا نجاحاً في صناعة بطلهم القومي الذي راح يشق طريقه الىٰ الحكم المطلق بسهولة ويسر منفّذاً خطة بريطانيا العظمىٰ في الحكم غير المباشر للبلدان المقهورة بعد الحرب العالمية الاولىٰ .

كان أحمد شاه قد استفظع الاتفاقية المذكورة ورفض التوقيع عليها فاضمر الانكليز الاطاحة به في أول فرصة ، وكانت الخطوة الأولىٰ اجباره على اقالة ضياء الدين وتنصيب رضا خان رئيساً للوزراء .

وتجسدت الخطوة التالية بمشروع تقدّم به رضا خان الىٰ المجلس يقضي بالغاء الحكم الملكي واستبداله بالحكم الجمهوري .

ولم تكن فكرة الجمهورية سوى ذريعة من أجل تأسيس نظام جديد بزعامته .

وينبغي أن نذكر ان الفترة التي اعقبت الانقلاب الاسود وتعيين رضا خان وزيراً للحرب قد شهدت معارك طاحنة في الشمال الايراني بين قوّات القوازق الحكومية وقوّات ميرزا كوجك خان .

وكان التمزّق بسبب حوادث مؤسفة وخيانة بعض

الاجنحة في قوات الثورة قد عجّل من قهر قوّات الغابة التي انتهت تماماً بعد سقوط ميرزا كوجك خان في الثلوج بعد أن تاهت به السُبُل وهو في طريقه الىٰ خلخال .

وبعد هذه الفترة وفيما كان رضا خان يواصل تعزيز موقفه بمساندة الانكليز كان «مدرس» يواجه محنته بعد أن أصبح صوته المدوّي وحيداً في مجلس الشورىٰ .

وقد نجح رضا خان لدىٰ زيارته العلماء المبعدين من العراق (السيد ابو الحسن الاصفهاني ، والشيخ محمد حسين النائيني) والتباحث معهما في فكرة الجمهورية في ايران ورغبتهما في التخلّي عن هذه الفكرة نجح في تعزيز مكانته لدىٰ العلماء ، والايحاء اليهم بأنه يقدّس الاسلام ويكن للعلماء بالغ الاحترام .

ولذا فقد ظهر اتجاهان داخل علماء الدين : اتجاه معادٍ لرضا خان بسبب علاقاته المشبوهة بالانكليز وكان مدرس يقود هذا الاتجاه بشجاعة فريدة .

واتجاه آخر مؤيد لرضا خان واثقاً من طاعته للعلماء ، وكان النائيني في الطليعة وبعده يأتي السيد أبو الحسن الاصفهاني ، اللذين وجدا فيه بديلاً مناسباً لاحمد شاه وكان الأخير في وضع لا يحسد عليه .

وكانت الضربة القاضية اذا صح التعبير هي في قيام رضا خان بزيارة سرّية للنجف الاشرف ولقائه النائيني والاصفهاني اللذين ودعهما في قم في آذار ١٩٢٤ بعد سماح الحكومة العراقية لهما بالعودة شريطة عدم التدخل في الشؤون السياسية[43].

وكان رضا خان سخياً فيما يبدو في منح الوعود والمواثيق في طاعة العلماء وفي استئناف الحياة الدستورية بالطريقة التي تضمن للمجتهدين اشرافهم على اللوائح القانونية وعدم معارضتها للشريعة.

وفي مقابل ذلك اصدر كل من آية الله النائيني وآية الله أبو الحسن الاصفهاني فتوىٰ مشتركة حرّما فيها معارضة حكم رضا خان[44].

وكانت الفتوىٰ بمثابة قنبلة فجرّها رضا خان لنسف حكم القاجار الذي أمتد من سنة ١٧٧٩ وحتى سنة ١٩٢٥، ومن ثم التأسيس لسلالة جديدة تمثلت بالحكم «البهلوي»، وليحتفل السفير الانكليزي في طهران وليشرب انخاب النصر في بسط النفوذ البريطاني دون منازع من وراء الكواليس[45] الىٰ حين!

هذا هو باختصار خلاصة المشهد السياسي في ايران منذ صيحة الافغاني وحتىٰ نهاية الحكم القاجاري من أجل أن

نكتشف موقع ثورة الغابة وأخلاقية الثائر ، ودور الاحداث العالمية والظروف في اطفاء تلك الشعلة المتوقدة التي ظلّت تتوهج لتمزيق الظلمات الثلاث : الاحتلال الروسي ، الهيمنة الانكليزية والفساد الحكومي مدّة سبع سنين .

# الهوامش

1 . جاءت معاهدة گلستان، بعد حرب خاضتها ايران ضد روسيا القيصرية واستمرت تسع سنوات وانتهت بهزيمة ايران عسكرياً في قرية «گلستان» في ضواحي قره باغ في ٢٩ شوّال ١٢٨٨هـ ١٢ اكتوبر ١٨١٣م وقد وقع المعاهدة نيكولاي ريدتشوف ممثلاً عن القيصر والميرزا ابو الحسن خان الشيرازي ممثلاً عن فتح علي شاه ملك ايران.

وقد جاء في البند الخامس من المعاهدة انه لا يحق لاية سفينة حربية عدا السفن الروسية أن تمخر مياه بحر الخزر! / مطالعات آسياي مركزي وقفقاز / السنة الأولىٰ العدد الثاني ص ٢٥٩.

2 . تركمن جاي: نسخت هذه المعاهدة معاهدة گلستان بعد ١٥ سنة اثر حرب ثانية استمرت ١٨ شهراً وانتهت بهزيمة ايران ايضاً وسقوط تبريز وبعض المدن الاذربيجانية في قبضة الجيوش الروسية وقد قام السير ماكدونالد الوزير المفوض الانكليزي بوساطة بين الدولتين وتم توقيع معاهدة تركمن چاي (قرية في ضواحي تبريز) ١٠ شباط ١٨٢٨، وقد تنازلت ايران وفقها عن اراض واسعة شملت نخجوان وايروان (يرفان) وارغمت ايران علىٰ دفع الخسائر الحربية لروسيا، وخارج المعاهدة تمكنت روسيا ايضاً من احتلال جزيرة أشغارده وبعض الجزر الصغيرة الأخرى وقد وافقت ايران

ايضاً على هذا الاحتلال! / مطالعات آسياى مركزي ٢ / ٢٦٠.

ومنذ ذلك الوقت تعاظم الدور الروسي في ايران خاصّة في الشمال.

3. رضا خان بهلوي فيما بعد.

4. ولد موقظ الشرق عام ١٨٣٩ وشهد فاجعة سقوط الحكم البابري في الهند وسيطرة الانكليز علىٰ مقدرات دولة مترامية الاطراف وذلك سنة ١٨٥٧م.

وتضاربت الآراء حول مسقط رأسه وإن كان المشهور أنه من افغانستان ولكن ادلّة عديدة تؤكد ميلاده في أسد أباد في همدان.

درس في بدايات حياته العلمية في مدينة النجف الاشرف في الفترة مابين ١٨٥٠ وحتى سنة ١٨٦٤ وغادرها متوجهاً الى طهران بعد وفاة استاذه الشيخ مرتضىٰ الانصاري، ومنها الىٰ خراسان فأفغانستان في نفس العام.

وتزامن وصوله مع الصراع المصيري بين جناحين في القصر؛ جناح تسانده بريطانيا وآخر تدعمه روسيا، وقد وقف جمال الدين الىٰ جانب الأخير، وقد انتهىٰ الصراع بانتصار شير علي خان الذي يمثل الجناح البريطاني. وذلك بعد ثلاثة أعوام، وعندها غادر جمال الدين افغانستان الىٰ الهند سنة ١٨٦٨، ولكن الانجليز اضطروه لمغادرتها أيضاً فولىٰ شطره صوب مصر فوصلها سنة ١٨٦٩.

وفي تلك الفترة ظهر الافغاني كثائر يناصب الاستعمار الانكليزي العداء والحرب.

ولم يقف الانكليز مكتوفي الأيدي ازاء السيد جمال الدين بل راحوا يحركون من وراء ستار بعض من يشكك في دعوة الأفغاني الاصلاحية، الىٰ

جانب محاولات عديدة في كسبه الىٰ هذا الطرف أو ذاك، ولكنه ظل وفياً لمبادئه في عصر لم يتفهّم اراءه وأفكاره، ولهذا كان يعاني الأمرّين ويحسّ وطأة المستعمر الذي استغفل البلاد الاسلامية.

عانىٰ الافغاني منذ سنة ١٨٦٩م وحتىٰ رحيله في سنة ١٨٩٧م اصناف العذاب وقضىٰ حياته اشبه ما يكون بالمشرّدين، فالقلوب معه والسيوف تستلُّ عليه في كل مكان.

لم تمرّ على وصوله مصر سوىٰ فترة وجيزة حتى غادرها الىٰ الاستانة بعد موقف الأزهر السلبي إزاءه.

ولكنه عاد الىٰ مصر مرّة أخرىٰ عام ١٨٧١ بأمر من السلطان العثماني الذي توجس خيفة من نفوذه وتأثيره، وظل في القاهرة حتى سنة ١٨٧٩م وتعدّ هذه الفترة من أخصب فترات جمال الدين الفكرية وفيها تبلور اتجاهه الثوري في الاصلاح والتجديد.

وفي ذلك العام تحرك المستعمر الانكليزي المهيمن علىٰ مصر فاصدر الخديوي أوامره بنفيه الىٰ الهند وطوال ثلاثة أعوام عاش الافغاني في غربة الانسان الذي اصبح مصيره بيد عدوّه.

وفي عام ١٨٨٣م وصل باريس وذلك بعد اخفاق ثورة «عرابي» في مصر، فاصدر في العاصمة الفرنسية وبالتعاون مع تلميذه محمد عبدة جريدة العروة الوثقىٰ التي كانت تصدر اسبوعياً.

وما لبث الخلاف بين الاستاذ وتلميذه أن تعمق بسبب اختلاف الرؤية في وسائل الاصلاح.

غادر باريس الىٰ ايران في آخريات سنة ١٨٨٥م ثم استأذن الشاه ناصر

الدين في السفر الىٰ روسيا بعد تكهرب الاجواء في ايران بسبب افكاره التي وجدت لها آذاناً يصغي وقلوباً تعي ومكث في العاصمة الروسية «بطرسبرغ» أربع سنوات ليلتقي مرّة أخرىٰ ملك ايران في ميونيخ بالمانيا فدعاه الاخير للعودة الى ايران فوصلها سنة ١٨٨٩م.

وتفجّر الخلاف بينه وبين الشاه بسبب حركته الاصلاحية، فقرر السيد جمال الدين اللجوء الىٰ مرقد السيد عبدالعظيم في جنوب طهران معلناً عداءه لناصر الدين شاه وسياسته الاستبدادية والقبض عليه بعد اقتحام المرقد ليقاد وفي ظروف مريرة الىٰ الحدود العراقية في شتاء سنة ١٨٩٣م.

وكانت الاستانة محطته الأخيرة اذ وصلها في نفس العام.

وما لبث ناصر الدين شاه أن سقط صريعاً برصاصات اطلقها عليه أحد تلامذة الافغاني، وقد اظهر الأخير ابتهاجه بسقوط علم من أعلام الاستبداد الأمر الذي أثار مخاوف السلطان عبدالحميد فظلّ يعيش تحت رقابة شديدة حتىٰ توفي في ظروف غامضة في آذار سنة ١٨٩٧م.

5. منطقة جبلية تقع في الغرب من گيلان، وهي من مدن اذربيجان الشرقية التي تمتاز بشتائها القارس البرد.

6. ولد في الارجنتين ١٩٢٨ وتخرج في عاصمتها طبيباً ١٩٥٣م انتقل الىٰ بيرو لممارسة مهنته كطبيب تجول في اميركا اللاتينية على دراجة هوائية وصادف مروره في غواتيمالا عام ١٩٥٤م مع سقوط نظام حكم جاكو آرينز.

انتقل الى المكسيك عام ١٩٥٥ وتعرف هناك علىٰ كاسترو، وكانت بداية لصداقة وطيدة.

انظم الىٰ رجال الثورة الكوبية وكان أول الداخلين لها فاتحاً عام ١٩٥٩ تولىٰ مناصب حكومية ثم فوجيء العالم برسالته التي قرأها الرئيس كاسترو وهو يودع الشعب الكوبي واسرته ايضاً معلناً ان مهمته كثائر لم تنته.

واختفىٰ غيفارا سنوات ليظهر في بوليفيا قائداً لمعارك ضد النظام المدعوم من اميركا. حقق في البداية بعض الانتصارات، ولكنه مالبث أن وقع في كمين سنة ١٩٦٧ وأسر من قبل الجنود البوليفيين وتمت تصفيته بايعاز من المخابرات الاميركية CIA وكان لمصرعه دويّ كبير في العالم.

كان غيفارا ثائراً انسانياً حرّاً، ولهذا تحول الىٰ اسطورة عالمية واصبحت تجربته مصدر الهام ثوري في القرن العشرين.

ومع هذا فقد اختلفت النظرة اليه باختلاف اخلاقيات الناظرين، فهو مغامر رومانسي بالنسبة للبعض وقاطع طريق لدى البعض الآخر ومقاتل بطل بالنسبة لفريق ثالث.

يعتقد غيفارا بتجاوز انانية «الحدود»، وانانية القضايا القومية، وتبقى القضية المقدّسة هي قضية «افتداء الانسانية» ضد الولايات المتحدة الاميركية عدوة الجنس البشري.

«فكل قطرة دم تراق في ظل علم غير العلم الذي ولدنا تحت ظله هي تجربة مفيدة لكل اميركي (اميركا اللاتينية) وافريقي وآسيوي ولكلم أوربي أيضاً».

لهذا فان غيفارا كان ينتظر الموت ويستقبله كتضحية عليا.

ابدى غيفارا تحفظه إزاء الصراع السوفيتي الصيني، ولم يتحفظ في ابداء انتقاده لسياسة الاتحاد السوفيتي الشوفينية خاصّة في تعامله مع دول العالم

الثالث.

رفع جيفارا فكرة «البؤرة الثورية» أو «البؤرة الفدائية» ، حيث يتحمل الانسان كفرد دوره التاريخي في التغيير، مؤكداً علىٰ التوحد العضوي بين السياسي والعسكري في قيادة الثورة أو الحركة الفدائية، حيث البندقية لا تقود التجمع السياسي، والسياسي لا يوجه فوهات البنادق.

7. زاباتا إميليانو ١٨٧٧ ـ ١٩١٩ Zapto Emiliano ثوري مكسيكي عمل طويلاً ضد التسلط الديكتاتوري العسكري الذي توالىٰ علىٰ المكسيك في فترة حياته.

وقد لجأ الىٰ الثورة للسيطرة علىٰ منطقة موريلوس والقضاء علىٰ الاقطاع وتوزيع الأراضي علىٰ الفلاحين.

كذلك أنشأ في تلك المنطقة المدارس والخدمات الاجتماعية فذاع صيته والتفت الجماهير الفلاحية حوله إلّا أن قوّات الحكومة تمكنت من نصب كمين له وقتله في نيسان ابريل ١٩١٩م.

8. گيلان من محافظات الشمال الايراني حيث ولد ميرزاكوجك خان وانطلقت ثورته.

9. اسناد نهضت جنگل (بالفارسية) (الوثائق والتقارير السرّية) / ٢٣ المقدّمة.

10. حكم ناصر الدين شاه ايران من سنة (١٨٤٨ ـ ١٨٩٦)م كان همّه جمع المال عن طريق بيع حقوق الاستثمار للاوربيين.

وقع اثناء زيارته بريطانية وبتشجيع من الانكليز اتفاقية لاحتّكار حقول التبغ واسواقها مدّة خمسين سنة والتي اثارت غضب الشعب.

11. ولد السيد محمد حسن الشيرازي في شيراز في نيسان ١٨١٥م فقد والده في

السنين الأولىٰ من طفولته فرعاه خاله.

درس العلوم الدينية في مسقط رأسه، ثم سافر الىٰ اصفهان سنة ١٨٣٣ ودرس علىٰ أيدي اساتذتها، ثم غادرها الى النجف في سنة ١٨٤٣. فتتلمذ علىٰ يد الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر والشيخ حسن آل كاشف الغطاء ونال درجة الاجتهاد.

وكان من انبغ تلامذة الشيخ مرتضى الانصاري وقد لازمه مدّة ٢٢ عاماً أي حتىٰ وفاة الانصاري سنة ١٨٦٤م، وهي السنة التي تسنّم فيها المرجعية التي وجد نفسه مضطراً لتحمّل مسؤوليتها بعينين تفيضان دمعاً.

رفض استقبال ناصر الدين شاه في زيارة الأخير للنجف سنة ١٨٧٠م وتأزم الموقف ليأتي الحلّ الأمثل في اللقاء في ظلال مرقد الامام علي، واصبح هذا الحلّ تقليداً للقاء العلماء والملوك من الذين يأبىٰ زيارة أحدهما الآخر. وفي سنة ١٨٧٤ جاءت خطوته المفاجئة في هجرته الىٰ سامراء حيث مرقد الامامين العاشر والحادي عشر من ائمة أهل البيت عليهم السلام.

وقد تحسنت الحياة في تلك المدينة وشهدت نهضة عمرانية وانتعاش في الحالة الاقتصادية وجاءت الفترة بين سنة ١٨٩٠ ـ ١٨٩١ ليصبح الشيرازي قائداً عالمياً! وذلك عندما انفجرت ازمة «التنباكو» بين الشعب الايراني من جهة وناصر الدين شاه والشركة الانكليزية من جهة أخرىٰ.

وفي ٢٣ شباط ١٨٩١ صدرت فتواه المشهورة التي فجرّت ثورة فريدة في تاريخ ايران اجبرت الشاه على التراجع والشركة الانكليزية علىٰ الرحيل ومغادرة ايران.

وفي عام ١٨٩٣ حاول الانكليز تفجير فتنة طائفية عندما رمىٰ أحدهم

الامام الشيرازي بحجر وهو يجتاز أحد الازقة فتوجه القنصل البريطاني في بغداد الىٰ سامراء، وأبدىٰ استعداد بريطانيا العظمىٰ في اتخاذ الاجراءات في هذا الأمر.

غير ان الشيرازي ردّ قائلاً: «ان الحادث كان مجرد عمل صبياني.. ولا حاجة لأن تدسّ بريطانيا انفها فيما لا يعنيها من الأمور».

توفي الامام الشيرازي في العشرين من شباط ١٨٩٥ في سامراء ودفن في النجف الاشرف بعد تشييع طويل امتد بين المدينتين.

12. «نص الفتوى: «بسم الله الرحمن الرحيم.. استعمال التنباك والتتن اليوم حرام بأي نحو كان وبمنزله محاربة إمام الزمان...» حرّره الاحقر محمد حسن الحسيني.

13. موسوعة العتبات المقدسة مجلّد مدينة سامراء، جعفر الخليلي، أعيان الشيعة / محسن الأمين ٤ / ٢١٥.

14. تتحدث بعض المصادر عن النهاية الغامضة التي وضعت حدّاً لحياة الافغاني، يعزو بعضها الىٰ تآمر شيخ الاسلام أبو الهدى الصيادي وبعضها الىٰ خشية عبدالحميد الذي دس اليه السم «فرهنگ معين» الموسوعة الايرانية، مجلة العربي الكويتية العدد ٥٢.

15. سلالة شيعية استولت على الحكم في خراسان بعد معارك دامية مع المغول حكمت ما يقرب من خمسين سنة من عام ٧٣٨هـ وحتىٰ عام ٧٨٣هـ حيث انهارت بعد اجتياح تيمورلنك خراسان وقضائه علىٰ آخر ملوكهم (علي بن المؤيد) وقد جاءت ثورتهم كرد فعل عنيف على ظلم المغول واستهتارهم، ويعد الشيخ «خليفة المازندراني» ومن ثم تلميذه «حسن جوري» منطلقا

هذه الثورة وتعود هذه التسمية (سربداران) إلىٰ الشعار الحماسي الذي اطلقه مؤسس الدولة: «سر بدار ميدهيم اما زير بار ننگ نميرويم» ومعناه «الموت شنقاً افضل من الحياة ذلّا» ينحدر نسب هذه السلالة من جهة الأب عن الامام الحسين ومن جهة الأم عن البرامكة.

ولقد كان الشيخ حسن جوري يؤمن بنظرية الأنتظار السلبي للامام المهدي.. أي ترقب خروج الامام ولهذا كان يُخرج مع اتباعه فرساً وسيفاً في فجر كل جمعة ويطلقون استغاثاتهم بالامام المنتظر لينقذهم مما هم فيه.

غير أن حادثاً أطاح كما يبدو بموقفه، عندما دخل جندي مغولي بيته وراح يجمع ما يحلو له من الاشياء ثم فكر بالاستيلاء علىٰ زوجته ايضاً مما دفع بالشيخ جوري الىٰ اعتراض الجندي وقتله لتشتعل الثورة، واكتشف أهل نيسابور فجأة أنهم أمام نمر ورقي فسيطروا على خراسان بعد أن طردوا المغول منها.

16. سيد جمال الدين أسد آبادي بنيان گذار نهضت إحياء وتفكر ديني ـ محمد جواد صاحبي ط ٢٢٥.

17. دور العلماء المعارض ـ حامد الغار / ١٨٤.

18. راجع هامش 15.

19. صرّح ناصر الدين شاه ذات مرّة انه يودّ أن يكون محاطاً بحاشية من الاغبياء لا يعرفون عن «بروكسل» هل هي مدينة أم نوع من الخس. لمحات اجتماعية من تاريخ العراق» ٣ / ١٠٣ علي الوردي.

20. كتب السيد محمد الطباطبائي أحد ابرز قادة المشروطة في مذكراته: «جئت

الىٰ طهران، ومنذ دخولي اليها كنت بصدد تأسيس «مشروطة» في ايران وتأليف مجلس شورىٰ شعبي، وكنت اتحدّث من علىٰ المنبر عن هذين الأمرين» تاريخ العراق السياسي المعاصر حسن شبر ٢ / ٦١.

21 . نجح الانكليز عام ١٩٠٧ في اختراق المشروطة وافراغها من محتواها كـ«مشروعة» مثلما أراد لها الشيخ الشهيد، وقد حوصر «النوري» في منزله وفي تلك الفترة عرضت السفارات الروسية والعثمانية والهولندية منحه حق اللجوء لانقاذ حياته المهددة بالخطر، وقد رفض الشيخ الثوري ذلك.

كما حاول السفير الروسي كسب الشهيد والاستفادة من موقعه ضد الانكليز فأرسل علم بلاده ليرفعه فوق منزله لحمايته، وقد حظيت هذه الخطوة بتأييد بعض انصار الشيخ، ولكنه رفض ذلك قائلاً: لقد قضيت سبعين سنة من حياتي تحت راية الاسلام، ولا أريد أن أقضي بقية عمري تحت راية الكفر.. ردّوا العَلَم من حيث جاء»!

22 . ولد سنة ١٨٥٧ في مدينة نائين في اقليم اصفهان، سافر الىٰ اصفهان لاستكمال دراسته الدينية وهو في العشرين من عمره وتتلمذ علىٰ ايدي اساتذتها حيث مكث فيها اكثر من عشرة أعوام ليغادرها الىٰ سامراء وكانت الزعامة الدينية يومئذٍ للسيد محمد حسن الشيرازي صاحب فتوى التنباكو المعروفة.

وكانت للنائيني علاقات حميمة مع السيد جمال الدين الافغاني.

وفي الفترة التي شهدت انقسام المجتمع الشيعي بشأن المسألة الدستورية وبدء الصراع بين «المستبدة» و «المشروطة» ظهر كتابه الرائد «تنبيه الأمّة وتنزيه الملّة» الذي يعدّ باكورة الفقه السياسي الاسلامي

الحديث وفيه عالج النائيني اشكالية الحكم في «عصر الغيبة الكبرىٰ».
وقد حاول الشيخ النائيني أن يلعب دور الوسيط بين اكبر شخصيتين وهما السيد جمال الدين الذي كان قد التقاه في اصفهان وبين السيد محمد حسن الشيرازي المرجع الشيعي الأعلىٰ.

وكان السيد جمال الدين يحرص على لقاء الشيرازي، ولكن النائيني لم يوفق الىٰ ذلك رغم حرصه علىٰ ترتيب اللقاء بسبب موقف الشيرازي القاطع إزاء جمال الدين!

وعندما اصبح الشيخ في الخمسينات من عمره كانت الحركة الدستورية في ذروتها وكان أحد الاعضاء في مجموعة العلماء القيادية في النجف، وتولىٰ بنفسه صياغة البيانات والرسائل التي كانت تصدر باسم الشيخ الخراساني زعيم «المشروطة».

وفي عام ١٩٢٣ تم ابعاده الى ايران مع العلماء المعارضين للمعاهدة العراقية البريطانية، وخلال اقامته في قم كان له موقفه المساند الىٰ حدّ ولمبررات غير واضحة لرضا خان وكان الاخير في وقتها رئيساً للوزراء ويسعىٰ جاهداً للاطاحة بالملكية وتشكيل نظام جمهوري بدعم من الانكليز الذين نجحوا في اقامة مثل هذا النظام في تركيا؛ ولهذا سعىٰ النائيني في اقناع السيد حسن المدرس المعارض العنيد لرضا خان في انهاء معارضته! ولكنه اخفق في ذلك، وفي آذار سنة ١٩٢٤ عاد الىٰ العراق بعد موافقة الحكومة العراقية على عودة المنفيين بشرط عدم تدخلهم في السياسة.

وفي عام ١٩٢٥ اصدر النائيني بالاشتراك مع السيد ابو الحسن

الاصفهاني رفيقه في المنفىٰ فتوىٰ تحرّم معارضه حكومة رضا خان وهي الفتوىٰ التي طوت حكم القاجار ومهدت السبيل أمام اسرة «بهلوي».

توفي الشيخ النائيني في بغداد سنة ١٩٣٦ بعد تدهور صحته في السنوات الاخيرة.

23. دور العلماء المعارض في السياسة الايرانية / ١٧٧.

24. آفتاب نيمه شب «شمس في منتصف الليل» / ٤٨.

25. تشيع ومشروطة (بالفارسية) / ١٥٦.

26. آفتاب نيمه شب / ٥٤.

27. المصدر السابق / ٥٥.

28. مهاجر الىٰ الله (بالفارسية) / ١٨٣.

29. ثورة النجف / ٧٠.

30. في عام ١٨٧٨ اسس ناصر الدين شاه وبالاعتماد علىٰ الروس أول «قزاق خانه» (تشكيلات القوازق) وهي قوّات ايرانية تحت قيادة روسية ويشرف الضابط الروسي على تدريب الجنود الايرانيين وارساء التشكيلات والوحدات العسكرية الحديثة، لتكون نواة للجيش الايراني وسرعان ما امتدت فروعها في كل من تبريز، اصفهان، مشهد، بابل ورشت. تاريخ سياسي معاصر ايران، سيد جلال الدين مدني.

31. شمس في منتصف الليل / ٥٧.

32. زعيم وطني وأحد قادة «المشروطة» قاد حركة المقاومة في تبريز بعد حصارها من قبل القوات الحكومية مدّة أحد عشر شهراً (٢٣ جمادي الأولى ١٣٢٦هـ وحتىٰ ٨ ربيع الثاني ١٣٢٧هـ)، وقد عم القحط والجوع

المدينة، اتفق الروس والانكليز على كسر الحصار فتحركت قوّات روسية ودخلت المدينة ودخلت المواد الغذائية وانتهىٰ الحصار.

ونتيجة للضغوط الروسية اضطر للجوء الىٰ القنصلية العثمانية وأخيراً وبعد تفاقم الضغط الروسي غادر تبريز مع زميله في حركة المقاومة «باقر خان» متوجهين صوب طهران لتحريرها من سلطة الاستبداد.

وفي معسكره في «آتابك» بطهران اشتبك مع القوّات الحكومية التي اعلنت قرارها بخلع سلاح المجاهدين ودارت معارك ضارية حيث جرح ستار خان وأسر باقر خان مع ثلاثمئة اسير، ومالبثت الحكومة أن صرفت مرتباً شهرياً لكلا الزعيمين.

توفي ستار خان بعد أربع سنوات متأثراً بجراحه / فرهنگ معين (بالفارسية) وكان ستار خان واثناء تدهور أوضاع تبريز بسبب الحصار واحتمال سقوط المدينة قد رفض عرضاً من القنصل الروسي في رفع علم روسيا علىٰ بلاده قائلاً: انني اطمح الىٰ إعادة سبعة بلدان الىٰ العلم الايراني، وأنت تعرض عليّ أن الجأ الىٰ علم روسية!! / «شمس في منتصف الليل / ٥٧».

وستار خان يشير الىٰ الاقاليم التي سقطت في أيدي الروس في حروب سابقة وأقرت احتلالها معاهدات ظالمة سبق الاشارة اليها في هامش 1، 2.

33. تاريخ تحولات سياسي وروابط خارجي / ٢ / ١٨٥.

34. يكشف الحوار الآتي وقائع محاكمة الشيخ الشهيد:

شيخ ابراهيم زنجاني: بسم الله قاصم الجبارين نبدأ المحكمة، بقراءة قرار التجريم، الذي يضم الاتهامات الموجهة الىٰ الشيخ فضل الله النوري

بن ملا عباس كجوري.

عندما وافق المرحوم مظفر الدين شاه، وبعده محمد علي ميرزا، المخلوع على مطلب الشعب ووقّعا على الدستور والميثاق الاساسي، وكان لسماحتكم، وبعض العلماء المعروفين، دور كبير في إقرار هذا الامر، كنت تحضر اغلب جلسات مجلس الشورى لمدة ثمانية أشهر، حيث كانت تدون وتصحح مواد الدستور بعلمكم وبعلم الآخرين، فما الذي حصل وجعلك تشقّ عصا الأمة؟ وتزرع الفرقة بين الناس، وترفع لواء المعارضة؟ لقد جمعت حولك زمرة من الأشرار، وطرحت المادة التي هي أصل الفساد الكبير، والسبب الاساس في إراقة دم خمسين ألف إيراني بريء.

إذا كانت المشروطة حلالاً وواجباً، فلماذا عارضتها بهذه الشدة؟ ولماذا لم تصغِ للنصائح المتكررة التي وُجِّهت اليك بعد إعلانك معارضتك للمشروطة؟ كنت بنفسي حاضراً إحدىٰ الليالي، في منزل السيد ميرزا سيد محمد، وكان السيد عبدالله أيضاً موجوداً مع خمسة وعشرين من الوكلاء ذوي الشأن، عندما أقسمت الايمان المغلظة بالقرآن الكريم، بأنك دائماً تؤيّد المشروطة.

الشيخ فضل الله: ارجو ان تذكر تتمة الكلام الذي قلته يومئذٍ.

زنجاني: وبعد بضعة أيام نكثت يمينك ودعوت بدعوة الفساد، ورفعت لواء المعارضة فعاد جماعة للاتصال بك، فكنت تقول ان اعتراضك على تلك المادة المحددة من الدستور. ثم ذهبت إلىٰ مزار السيد عبدالعظيم. وهناك أطلقت شتىٰ الإتهامات الشفوية، والتحريرية، بحق النواب، ومارست ألوان الفساد، انك ياشيخ فضل الله النوري متهم بـ:

أولاً ـ إثارة الاضطرابات.

ثانياً ـ قتل بضعة اشخاص باوامر شخصية منك.

ثالثاً ـ معارضة المشروطة التي دعا اليها السادة العلماء ولهذه الأسباب فأنت امام العدالة محكوم بالإعدام.

أحد الحاضرين: قبل تنفيذ الحكم يمكنك أن تدافع عن نفسك.

شيخ فضل الله: بسم الله الرحمن الرحيم. قبل أن أدافع عن نفسي بيِّنوا ما فعلتم بمحمد علي ميرزا؟ (الشاه المخلوع).

احدهم: هذا الأمر لا يتعلق بك.

شيخ فضل الله: لقد كان محمد علي ميرزا شاهاً ورأساً للاستبداد، لكنكم أعطيتموه الأمان ليخرج من ايران، وتغاضيتم عن كل جرائم القتل والنهب التي ارتكبها، وقررتم إرسال مئة الف تومان له شهرياً. أليس هذا ما كنا نقوله منذ البداية من أن المشروطة التي تصنع في السفارة البريطانية لن تكون نتيجتها غير هذا؟

احدهم: دافع عن نفسك؟

شيخ فضل الله: يصلنا الدور. وماذا فعلتم بعين الدولة (الصدر الاعظم)؟ بسبب مساعدته على الظلم والقتل اللذين لاحدَّ لهما؟ سمعت أنكم عفوتم عنه أيضاً، وأنتم تعلمون من الذي قتل أهالي تبريز، ومن الذي حمل أهالي قوجان على بيع بناتهم.

احدهم: لا علاقة لك بما فعلنا بالآخرين.

شيخ فضل الله: لا بأس ان تعطوه حقيبة وزارية أيضاً. فمثله جدير بها. ثم ماذا فعلتم بلياخوف؟ لم أكن أنا الذي قصف المجلس بالمدافع، ولست

الذي قتل أهالي طهران، ماذا فعلتم به؟ لقد سمعت أنه جاء الىٰ السردار أسعد وألقى أمامه سيفه على الارض علامة الاستسلام، وان السردار أسعد، قلده سيفه مرة ثانية. ماذا تسمون ذلك؟

احدهم: لقد كان يؤدي واجبه العسكري.

شيخ فضل الله: اذن فالجرم الوحيد هو تأدية الواجب الإسلامي؟!

أمير بهادر: انت تحاكمنا بدل أن نحاكمك؟

شيخ فضل الله: وأما أنت يا أمير بهادر، فكيف ومتى أصبحت من طلاب المشروطة؟ أنت الذي كنت بالأمس وزير حرب المستبدين، أصبحت اليوم قاضي قضاة المشروطة؟ الحمد لله أن عشنا وشاهدنا تقلُّبَ الأيام. لقد علمت أنك هنا، فأحضرت معي هذه الوثيقة، هل تتذكر يا سيد أمير بهادر عندما بعث السيد بهبهاني، والسيد طباطبائي، برقيات الى المدن؟ دعني أقرأ لك نص البرقية. (السادة العلماء الاعلام، وحصون الاسلام، جمعية الولاية وسائر الجمعيات إن إبعاد عدد من حاشية البلاط، كأمير بهادر الذي كان ضالعاً بالفساد، وإفساد العلاقة بين الشعب والشاه...

زنجاني: ليس لك أن تتدخل في شؤون المشروطة.

شيخ فضل الله: أريد أن اقول إن المشروطة التي تزدهر تحت مظلّة الأجنبي، يحتفل بها مع المستبدين. إذا كنتم تعتبرونني من طلاب الاستبداد ـ وانتم لا تعتبرونني كذلك، وتعلم ضمائركم ذلك ـ فلماذا على الاقل لم تفعلوا بي مثل ما فعلتم بمحمد علي ميرزا، وعين الدولة ولياخوف. وأنتم أنفسكم تعلمون: أن ذلك أسلم لي، وأنه كان قد طلب مني أن ألجأ إلىٰ السفارة الروسية أو العثمانية، لأضمن سلامتي، وتعلمون أيضاً:

أنني رفضت!! وقد قلتم أيضاً إنني كنت من طلاب المشروطة ثم انفصلت عنها وأنتم تعلمون سبب انفصالي. إن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً كان يحارب بني أمية مع العباسيين في أول الأمر ولكنه عندما رأى انحرافهم تركهم. ثم قُتِلَ على يد العباسيين في النهاية.

امير بهادر: تقارن نفسك بالإمام الصادق أيها الشيخ؟!!

شيخ فضل الله: كلا، إنني أقارنكم بالعباسيين.

35 . في زيارة الشيخ الخراساني لآية الله الزنجاني الذي ابعد الىٰ النجف علق علىٰ نتائج الثورة الدستورية قائلاً بالفارسية: «ماكشمش را بختيم تا سركه شود چرا شراب شد؟!». ومعناه: لقد أردنا للزبيب أن يكون خلاً فلماذا اصبح خمراً!!».

شمس في منتصف الليل / ٦٧.

36. المصدر السابق / ٦٣.

37. مرگى در نور «موت في الضوء» / ٢٤١ ـ ٢٤٥.

38. ولد سنة ١٨٦٧ في اردستان في اقليم اصفهان، في السادسة عشرة من عمره سافر الىٰ اصفهان لاستكمال دراسته استجابة لوصية جدّه حيث مكث فيها خمس سنين تلقى خلالها دروساً في العربية والبيان اضافة الىٰ الفلسفة والاصول.

وعندما بلغ السابعة والثلاثين هاجر الىٰ النجف الاشرف، وتتلمذ علىٰ أيدي اساتذتها وفي طليعتهم الخراساني واليزدي، وبعد سبعة أعوام عاد الىٰ اصفهان.

اشترك وبدور فاعل في الثورة الدستورية، وما لبث أن انتخب عضواً في

البرلمان بعد نجاحها، واصبح ممثلاً عن طهران كما اصبح عضواً في اللجنة الخماسية المشرفة على اللوائح التي تشرّع في البرلمان.

كما انتخب ايضاً لدورة ثانية وقد كشفت تجربته النيابية عن صراحة وصلابة ميزت شخصيته.

وبعد اندلاع الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ كان مدرس أحد اعضاء الحكومة الموقتة التي تشكلت لوقف حالة التداعي في البلاد بعد عجز حكومة «المركزية» وقد اخفقت الحكومة المؤقتة بسبب الضغوط الاجنبية فهاجر الى تركيا عام ١٩١٧ ليعود بعد عامين؛ وليعلن معارضته الشديدة لاتفاقية ١٩١٩ التي عقدها «وثوق الدولة» مع بريطانيا. وقد نجح في حمل البرلمان للتصويب ضدها، مما دفع ببريطانيا للتفكير في الانقلاب العسكري.

وفي ظل الانقلاب القي القبض عليه وزج في السجن ليفرج عنه بعد سقوط حكومة ضياء الدين.

عرف عن المدرس ذكاءه ووعيه للخطر الانكليزي الذي كان يوجه الاحداث من وراء ستار، وقد ادرك المدرس أن رضا خان الذي قام بحركته الانقلابية وزحف بقوات القوزاق من قزوين الى طهران ليس إلّا عميلاً بريطانياً اتخذه الانكليز وسيلة لتحقيق مآربهم وملء الفراغ الذي نجم عن انسحاب الروس بعد الثورة البلشفية.

خاض مدرس صراعاً مريراً ضد حكومة رضا خان منذ رئاسة الاخير للوزراء وحتى اعتلائه العرش ١٩٢٥ حيث قام بابعاد المدرس الى خراسان في منطقة نائية على الحدود الافغانية في منطقة تدعى «خواف»

التي كتب فيها مؤلفه المعروف بـ«خوافنامة».

وبعد أحد عشر عاماً من الاقامة الجبرية تم ابعاده الىٰ مدينة كاشمر تمهيداً لاغتياله، وفي شهر رمضان ١٩٣٧ اقتحم جلاوزة رضا خان الذي اصبح دكتاتوراً دموياً منزل حسن المدرس واجبروه على تناول شاي مسموم، وقد امسك الشهيد فنجان الشاي وتجرع مافيه بشجاعة ثم قام للصلاة ويقال أن السم لم يفعل فعله المطلوب لذلك بادر الجلاوزة الىٰ خنقه بعمامته.

شهداى روحانيت شيعه در يگ صد ساله أخير / علي ربّاني خلخالي.

39. ولد الثائر الشيخ محمد خياباني ١٢٩٧هـ/١٨٧٧م في تبريز، نهض لمواجهة الوجود الروسي ابّان الحرب العالمية الأولى، كما قاوم الحكومة المركزية بسبب فسادها وخضوعها للنفوذ الانكليزي، وكان علىٰ وشك أن يمدّ جسوره مع ميرزاكوجك خان في گيلان عندما وصلت قوات القوزاق تبريز وحدثت اشتباكات عنيفة ولقي مصرعه فيها عام ١٩٢٠.

فرهنك معين المجلد الخامس / ٤٩٠.

40. ثورة النجف / ١١٥ الاسدي.

41. كتب السير برسي سايكس في كتابه مجد العالم الشيعي: في ٢٩/آذار ١٩١٢ أطلقت المدافع الروسية قذائفها على المشهد الرضوي، ومن ثم احتلال المرقد المقدس ونهب الخزانة الرضوية التي حوّلت الىٰ البنك الروسي.

**The Glory of the shia world p.p 46**

وكان الروس قد افتعلوا ازمة ليجعلوا منها ذريعة لاحتلال المدينة، وكان من المفروض ان يكافأ العميل (يوسف هراتي) ولكنه أعدم دون محاكمة

لان الجثث لا يمكنها الاعتراف بشيء.

موسوعة العتبات المقدسة ١١ / ٢٨٩.

42. تاريخ العراق السياسي ٢ / ١٢٨ حسن شبر.

43. شعراء الغري للخاقاني ٤ / ٣٠١.

44. تاريخ العراق السياسي ٢ / ١٢٥.

45. نجح الانكليز في اقامة انظمة قوّية وموالية لهم في كل من العراق سنة ١٩٢١ بعد الالتفاف علىٰ الثورة الشعبية وفي ايران سنة ١٩٢١ بعد الانقلاب العسكري بقيادة رضا خان، وفي تركيا سنة ١٩٢٢ بسقوط الخلافة العثمانية وحتى في افغانستان سنة ١٩١٩ بتولّي أمان الله خان الحكم واتجاهه نحو الغرب.

# ثورة الغابة

## ١٩١٤-١٩٢١

## بقيادة

## ميرزا كوجك خان

# الفصل الأول

## ١٩١٤ ـ ١٩١٧

«... انه التحدّي الذي يغوص في اعماق البشر... وهناك وفي لحظة مصيرية يتجلّىٰ الانسان وتتبلور معادلته... فإذا هو مهزوم أو ثائر، خانع أو شهيد».

# ميلاد رجل

لا تشتعل الثورة في الفراغ ، ولا تولد من عدم ، كل وهج مقدّس يتفجرّ ويتشظىٰ ، انما هو غضب مكبوت ، غضب متراكم عبر السنين .

ألم مخزون . . وشعور بالمرارة ، تلك هي البداية . . بدايات الغضب الذي يتحول الىٰ قنبلة موقوته . . تتنتظر . . .

أجل تنتظر الصاعق . . الشرارة . . التي تفجر ذلك المخزون الهائل من العواطف . . عواطف الأنسان الذي ينشد حلمه الضائع وحقه في الحياة الكريمة والحرّية . .

هاهي طهران ١٩١٤ مثل كل مدن الشرق المسلم تترقب مشدوهة لما يجري في العالم . . دوّي المدافع وأزير الرصاص ودخان الحرائق المجنونة .

وحينئذٍ تهتز الثوابت بشدّة وتضرب الزلازل الأرض والانسان .

الحركة الدستورية التي قدّم الشعب الايراني من أجلها

خمسين ألف انسان تتحول الىٰ أداة بأيدي الساسة الانكليز . أمّا أولئك الذين أرادوا للحركة الدستورية أن تكون في ظلّ شريعة الله فقد هزموا في الجولة الأخيرة .

اغتيلوا برصاص الغدر أو قذفوا خارج الوطن أو شنقوا في ميادين العاصمة بعد آلاف الدسائس والمؤامرات .

ويعود ميرزا كوجك خان الى طهران بعد أن التئمت جراحه في الحركة الدستورية ؛ يعتصر الألم قلبه الكبير لما يشهد من تجاوزات الحكم ولما يراه من عدوان علىٰ القيم الانسانية والاسلامية .

ثم تأتي المجاعة لتزيد الاشياء ظلامية وتبعث في النفس شعوراً بالاحباط أو الغضب . . الهزيمة أو الثورة . . أنه التحدّي الذي يغوص في اعماق البشر . . وهناك وفي لحظة مصيرية يتجلّىٰ الانسان وتتبلور معادلته فاذا هو مهزوم أو ثائر ، خانع أو شهيد .

وفي تلك الساعة من القدر وفيما وقفت الحكومة عاجزة تماماً أمام اجتياح الجيوش الاجنبية الأرض والناس وفيما كان «أحمد شاه» يفكر بنقل العاصمة من طهران الىٰ اصفهان كان ميرزا كوجك خان يقف على اعتاب لحظة مصيرية في حياته . . .

أنه الآن وجهاً لوجه أمام التحدّي . . التحدّي الذي لا ينفك يسحق بقسوة ويترقب استجابة بشكل ما .

وكان قرار الرجل الذي بلغ من العمر ستة وثلاثين عاماً أن يمضي ليرىٰ بم يفكر الأحرار . . ترىٰ من يكون ذلك ميرزا كوجك خان ؟ الذي يدور في شوارع طهران حائراً يبحث عن ثمار كل تلك الدماء التي أُريقت من أجل الحرّية والاستقلال والكرامة والوطنية ؟

في عام ١٨٧٧م ١٢٩٨هـ ولد «يونس» في مدينة رشت عاصمة أقليم گيلان في الشمال وفي أُسرة متوسطة تعيش في محلة تعرف بـ«استادسرا» .

بدأ دراسته الابتدائية في مدرسة «حاجي حسن» في احياء رشت .

ومنها الىٰ مدرسة «مسجد جامع» ليرتدي الزي الديني ثم ليستكمل دراسته في مدرسة «محمودية» في طهران ، وكان من الطبيعي أن يصبح فيما بعد إماماً في مسجد ما أو يواصل دراساته الدينية ليصبح مجتهداً يفتي في مسائل الحلال والحرام .

غير أن الأقدار كانت تدفعه باتجاه آخر . . باتجاه الحوادث المزلزلة التي تصنع التاريخ والانسان .

وبالرغم من عنف الحوادث العاصفة فإن اشياءً وقيماً في شخصيته ظلت ثابتة بل كانت تزداد تألقاً مع الأيام كما الجمر يزداد توهجاً كلما اشتدت الرياح . .

ظل «يونس» أو «ميرزا» كما اشتهر فيما بعد هو هو بأدبه الجم وتواضعه وايمانه بالمثال الاخلاقي وحبّه العميق للوطن والهويّة .

لم يتزلزل شيء منها كما لم يتغير لون عينيه التي تشبهان البحر زرقة وأرادته التي تكاد تلوي عنان القدر .

عرف ميرزا بصراحته وتعصبه للعدالة والحق وانحيازه المطلق للمقهورين والمظلومين ، ولم يكن ذلك مجرّد شعار في حياته بل كان يستخدم قبضته الحديدية في ايقاف المعتدي عند حدّه .

يحبّ الرياضة ويمارسها يومياً ، لم يعاقر أي نوع من المشروبات الكحولية كما لم يدخن ولم يقترب من «التريالك» الذي جرف الكثيرين في طريقه .

وكان في طليعة كل ذلك على جانب كبير من الحياء . . الحياء الذي منعه ربّما من الاقدام على الزواج[46] . . وربّما تأثراً بسيرة مثله الأعلى «الافغاني» .

عرف ميرزا بصمته وهدوئه ، فاذا تحدّث تبسم وربّما

مزج حديثه بطرفة ومازح محدّثه .

وتنطوي شخصية ميرزا على محتوى ثر من الروح الدينية التي صنعت منه انساناً حرّاً يرىٰ في النموذج الأخلاقي الرفيع انتصاراً لا في سياسة الحديد والنار ، ولهذا كان رحيماً مع الجميع حتى مع الذين نصبوا له العداء والذين غدروا به .

وخلال حياته في الغابة اشتهر عنه ترديده لآيات قرآنية ذات دلالات خاصّة ، إذ كان يقرأ بين الظهرين والعشائين : ﴿ومن يتوكل علىٰ الله فهو حسبه﴾ ﴿قل اللهم مالك الملك . .﴾ ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل احياء . . .﴾ .

يحبّ الشعر . . وكان يتغنىٰ باشعار تنطوي علىٰ حكم وامثال حول الرجال وتقلب الزمان ، اهتم في مقطع تاريخي من حياة الثورة باشعار فردوسي خاصّة ملحمته المعروفة لما تنطوي عليه من مخزون وطني يمكنه بعث روح المقاومة في جنوده . وربّما ضاقت نفسه وهو يتطلع الىٰ الأفق فيراه مظلماً ، فيمتطي صهوة جواده ممعناً في عمق الغابة . .

كما لا ننسىٰ أن البيئة التي نشأ فيها قد بلورت ولا شك جانباً من شخصيته ، فگيلان هي أرض المطر . . المطر الذي يتساقط باستمرار في أغلب أيام السنة .

فالصبي الذي كان يركض تحت المطر وقدماه تخوضان

البرك وتعبران السواقي حيث الدوائر والفقاعات والوشوشات التي يحدثها المطر قد أثارت في نفسه الغضة أحلاماً ورؤى .

ودويّ الرعود والبروق في الغابات قد طرد من نفسه الخوف من الاشياء إلّا من شيء واحد هو الله .

كان له دور في الحوادث التي عصفت بالبلاد إبّان حركة المشروطة واشترك آنذاك في احتلال قزوين .

التحق بصفوف الثوار الذين زحفوا باتجاه طهران واحتلالها وعندما أثار محمد علي شاه قبائل التركمن التحق بصفوف القوّات التي هبّت لمساعدة «ستار خان» ، واصيب برصاصات اثناء المعارك .

وقد نقل الجريح الىٰ روسيا بأوامر من محمد علي شاه الذي اصدر أوامر سرّية بالقائه في مياه البحر ليكون طعاماً للحيتان .

ولكن قائد السفينة والطبيب لم ينفذا رغبة الشاه وعكفا علىٰ مساعدته حيث ارسل الىٰ بادكوبه (باكو) كما مكث في تفليس ليعود الى گيلان وتزامنت عودته مع القضاء على اظطرابات التركمن .

وما لبث القنصل الروسي في رشت أن أصدر أمراً بنفي ميرزا بسبب نشاطاته التحررية الىٰ طهران .

وقد ابدىٰ ميرزا امتعاضه من تجاوزات الحركة الدستورية وامتنع عن استلام معونات من بعض زعاماتها العسكريين بالرغم من ظروفه المعيشية العسيرة .

وفي تلك الظروف العاصفة عندما استيقظ العالم علىٰ دوي الحرب العالمية الأولىٰ . . كان ميرزا في طريقه الىٰ غابات الشمال ليتمخض القدر عن ثورة رجل لا يعرف الخنوع .

ان ما سيرد من وقائع الثورة هو بالاستناد الىٰ الكتاب الوثائقي الوحيد «سردار جنگل» للاستاذ ابراهيم فخرائي والذي صدر سنة ١٩٦٤ ، والىٰ كتاب بعنوان «نهضت جنگل» ويشتمل علىٰ مجموع الوثائق والتقارير السرّية التي تتعلق بها وقد صدر سنة ١٩٩٢ وهو الكتاب الذي حفزني للكتابة عن الثورة في خطوة لاثراء المكتبة التاريخية العربية .

ولا أنسىٰ الاشارة أيضاً إلى ما نشر في الصحافة الايرانية من جدل حول الثورة وهو ما يكشف عن أهمية ذلك المقطع التاريخي نظراً للملابسات التي رافقته وعمق التحولات العالمية التي تزامنت معه وكان لها تأثيرها فيه .

## گيلان . . غابات ومطر

في مناطق الشمال الايراني ترسم الطبيعة لوحة رائعة

حيث تجتمع السهوب والجبال والبحر في لقاء فريد ثم تأتي الغابات الكثيفة التي تغطي مساحات شاسعة من الشمال لتجعل من تلك المنطقة من العالم حيث تنمو آلاف النباتات قاعدة جغرافية للتاريخ .

ولقد شاء القدر أن تشتعل في اعماق ميرزا كوجك جذوة الثورة لانقاذ الوطن المقهور من محنته .

وفي زمن شهد ومع الاسف اهتزاز القناعات الدينية وطغيان الروح المادّية التي عززّ من تأثيرها انجازات العلم التجريبي ، في مثل هذا المقطع التاريخي فان ثورة انسان يجعل من الاساس الديني والدعوة الىٰ تضامن واتحاد الشعوب الاسلامية مهمّة شاقة ومستحيلة ، سيما وأن التيار الديني كان في عدّه العكسي بعد اختراق الحركة الدستورية وهزيمة الامبراطورية العثمانية ونجاح السياسة الانكليزية في اقاليم اسلامية من الشرق المسلم .

هل كان ميرزا كوجك خان مغامراً ؟

هل كان ثائراً رومانسياً ؟

أم كان ثائراً مؤمناً بدينه واثقاً من صحوة شعبه وامّته ؟

ان مسار الثورة ، ومواقف ذلك الثائر هي وحدها التي سترسم بوضوح شخصيته الملحمية ووفائه للمبادىء التي

آمن بها وضحىٰ في سبيلها .

وعندما ارتفع الجدل في الأوساط الوطنية في طهران حول الوسائل الكفيلة بوقف حالة التداعي التي تعيشها البلاد ، وقف ميرزا الىٰ جانب الذين ينادون بالثورة المسلحة واستخدام القوّة لردع الاجانب ووقف الذين يسحقون حقوق الشعب عند حدودهم .

لم يكن ميرزا وحيداً في اتخاذ قرار الثورة والانطلاق الىٰ الشمال كان معه رفيق جهاد في الحركة الدستورية «المشروطة» هو «علي خان» الذي حصل علىٰ لقب الزعيم الفاتح .

ولكنه شأنه شأن ميرزا لم يغرّه هذا الوسام الفارغ ولم يعم عينيه ما يشاهده من تجاوزات زعماء «المشروطة» الذين اصبحوا حكاماً في طهران وأدوات بايدي السفارة البريطانية ولهذا انطلقا صوب الشمال الىٰ أرض الغابات والمطر .

كان «علي خان» من أهل مازندران الاقليم المجاور لگيلان ، وقد حاول أن يقنع «ميرزا» بان غابات مازندران ومعرفته الدقيقه بطبيعة الأرض هي القاعدة المثلىٰ لانطلاق الثورة .

أما ميرزا فكان يرىٰ في گيلان أرض الثورة والثوار

والغضب المخزون الذي ينتظر من يفجرّه .

وفي تلك النواحي أي في ما زندران يفترق الرفيقان حيث يواصل ميرزا طريقه متوجهاً الىٰ «لاهيجان» وهناك يلتقي طبيباً سيكون له شأن في الثورة هو «الدكتور حشمت» ، وكان يمارس مهنته في تلك المدينة ، وينطلق ميرزا صوب «رشت» عاصمة اقليم گيلان فيدخلها على حين غفلة من أهلها واضعاً وبشكل عملي حدّاً لنفيه من مسقط رأسه بقرار من القنصل الروسي[47] .

مدينة رشت . . مدينة الغضب المخزون أرض البروق والرعود والغابات والمطر . . في هذه المدينة التي يحكمها الروس بالحديد والنار هنالك جذوة متوقد ولكن تحت الرماد ، وهنالك رجال في اعماقهم يسكن هاجس الثورةوالتمرّد .

ويسعىٰ بعض ذوي النفوذ التقليدي لدىٰ القنصل باستحصال موافقة على عودة ميرزا الىٰ رشت . . . ميرزا الذي يعيش حتىٰ تلك اللحظة متوارياً عن الانظار ، بينما يسدر الحاكمون والخونة في حياة لاهية . . حياة مثقلة بكل الرذائل البشرية . . ارهاب وقمار ، وعربدة وسكر . . ولواط . .

وگيلان الحزينة تبكي . . المطر ينهمر . . كسماء تبكي والبروق والرعود تدوّي لكنها تريد أن تشعل الثورة في

الجذور . . . جذور الانسان الذي ينبغي أن يحيا حرّاً لأنه ولد حرّاً .

ويكتشف بعض الاحرار ان هذا المنفي العائد الىٰ مسقط رأسه لم يتعب بعد . . لا تساوره وساوس الركون الىٰ حياة الدعة والهدوء .

ما تزال في اعماقه ثورة وما يزال بريق غاضب يموج في عينيه الزرقاوين ، وتشهد الليالي تجمعات صغيرة في مكان ما ، وتبدأ كلمات الثورة تخرج عن اطار الاشارة الىٰ اطار التصريح والتفكير في نقطة الانطلاق وخطط المواجهة ، ولاشك ان الوجود الروسي الذي يجثم في الشمال كنسر في مساء خريفي كان هو الهمّ الأول .

وفي خطوة أولىٰ للانطلاق بالثورة من الفكرة الىٰ واقع العمل والحياة ، يتجه ميرزا الىٰ «نهزم» للقاء «محمد تقي خان» من اصحاب النفوذ والملاّكين ، وممن تشمّ فيهم رائحة الوطنية والحميّة للدين والأرض .

ولم تكن مبادرة ميرزا شخصية أو وليدة قناعة ذاتية ، وانما استجابة لرفاقه الذين التفّوا حوله وآزروه في حركته الثوريّة .

وقد اسفر اللقاء عن نتائج سلبية اذ سرعان ما انكشف ذلك

الوقار الظاهري لتقي خان عن جرذ خائف في الاعماق فاذا بالاخير لا يطلب من ميرزا مغادرة «نهزم» بل التخلّي عن قراره الخطير في مواجة الروس حكام الشمال الايراني بلا منازع .

إنّها الرغبة البشرية في حياة الدعة التي يركن اليها الكثيرون غير مكترثين لما يجري حولهم من أهوال ، ولما يعانيه الناس البسطاء الذين يداسون تحت احذية الاجنبي حتىٰ درجة الانسحاق والهوان .

ولهذا انهىٰ تقي خان اللقاء بسرعة قبل أن تتناهىٰ الى اسماع القنصل الروسي انباء اجتماعه مع ميرزا «المنفي» بتهمة «الشغب» و «اثارة القلاقل» في گيلان التي بدت وكأنها قد اسلست قيادها تماماً . .

وقد اعتبر ميرزا من رحلته التي عاد منها خال الوفاض من أي دعم بل أنه سمع كلاماً اشبه ما يكون بالوعيد والتهديد . . ولهذا حذف من ذهنه ومن أذهان رفاقه أيّة فكرة من هذا القبيل . . انه لا يمكن الاعتماد إلّا علىٰ الذات وعلىٰ سواعد المقهورين لا أصحاب الثراء والملاّكين وإن كانت لهم سمعة حسنة ؛ فالثورة لا تشتعل في بيوت المترفين . . . إنّها هناك في قلوب المقهورين والمعذبين . . . في زوايا الاكواخ وفي طوايا الزنزانات والسجون وفي اعماق النفس الانسانية الحرّة التي

تنشد الحياة الكريمة .

وهنالك ولّىٰ ميرزا كوجك خان وجهه شطر الغابة مخزن الرجال الاشدّاء والأرادة التي لا تعرف الانثناء .

**كانوا سبعة عشر !**

فيما كانت القوات روسيا القيصرية بقيادة الجنرال «بارتوف» تواجه التقدّم الالماني العثماني في حدود همدان ، اذا بتقارير مقلقة تتحدث عن ظهور رجال مسلحين في الغابات وبالرغم من ان عددهم لم يكن ليتجاوز سبعة عشر رجلاً ولكن أملاً بدأ يلوح في الأفق ، ووجد السكان أنفسهم وقد هوت قلوبهم تلك النقطة المضيئة في قلب الغابات في الجنوب الغربي من مدينة رشت .

شعر الروس بالخطر وطلب القنصل الروسي الحاكم الفعلي لگيلان من «حشمت الدولة» حاكم گيلان بالاسم باخماد الشعلة قبل أن تتحول الىٰ حريق هائل .

لقد بدأت ثورة في الغابة ، ثورة تتجسد في رجال سبعة عشر . . ولكن الآمال الكبيرة وروح التضحية تجعل من كل ثائر جيشاً بأسره .

بدأت غارات الثوار تهدد مراكز الروس وتسلبهم حلاوة

النوم .

وعندما نجح الثوّار في تحرير امرأة ايرانية[48] كانت في أسر الروس ترك الحادث صداه في گيلان كلّها ، لم يعد الروس أحراراً في كل ما يشاؤون .

وها هي گيلان تستيقظ علىٰ رصاصات يطلقها الثوّار لكأنهم يريدون أن يوقظوا أُمّة من سبات عميق .

وتشرق وجوه الفقراء في گيلان الحزينة وتسود وجوه الذين أترفوا الذين يعيشون علىٰ جهود البسطاء والمعذبين .

وكان أول ردّ فعل روسي ورد في وثائق وزارة الخارجية هو تقرير القنصل الروسي في گيلان «لوسينكو» والذي يتحدث عن الثوار واصفاً ايّاهم بالاشرار واللصوص مطالباً الحكومة الايرانية التصدّي لهم وقمعهم[49] .

وكانت فرق البحث للكشف عن مكان الثوار تعود بالخيبة مما يدلّ على تعاطف كامل للشعب مع تلك الحركة المسلحة التي ستعلن عن نفسها بـ«هيئت اتحاد اسلام» .

لقد كان ميرزا الذي بلغ من العمر سبعة وثلاثين سنة موفقاً تماماً في انتهاجه اسلوباً مبتكراً في اشعال الثورة ، عندما عمد الىٰ صنع بؤرة ثورية من خلال اعلانه الثورة رغم قلة انصاره .

وكان مصيباً أيضاً في اختيار الثوار الذين كان معظمهم أو جميعهم من الفلاحين والمحرومين والفقراء . فهؤلاء وحدهم الذين يمضون في الطريق الشائك حتى النهاية لان اذهانهم خالية تماماً من كل وسائل التبرير التي يمتلكها بعض المتثيقفين .

ولقد بلغ من حماس الثوار انهم اقسموا إلّا يصلحوا وجوههم وذقونهم إلّا بعد تحرير الوطن من رجس العدو الاجنبي ، ولذا فقد بدوا بعد فترة طويلة من مسيرة المقاومة في اشكال مهيبة بشعورهم الكثيفة ولحاهم الطويلة وازيائهم الفريدة المصنوعة محلّياً في الغالب .

كما أن ايمان القائد الديني ذلك الايمان الوجداني قد رسّخ ولا شك احتراماً عميقاً في نفوس جنوده وأودع بذرة الحب في قلوبهم .

فقد عرف عن ميرزا تدينه العميق كما عرف عنه أنه كان يردد آيات من القرآن الكريم بين صلواته اليومية آيات لها مدلول خاص . . كشموع تضيء الطريق له ولرفاقه[50] .

## دروب الثورة

مرّت ثورة الغابة باربع مراحل أو منعطفات كان للتغيرات

العالمية دوراً مؤثراً ومصيرياً:

المرحلة الأولى وتبدأ منذ انطلاقتها سنة ١٩١٤ متزامنة مع اشتعال الحرب العالمية الأولىٰ واجتياح الجيوش الاجنبية لايران .

أما المرحلة الثانية فتبدأ مع انتصار ثورة اكتوبر في روسيا سنة ١٩١٧ وما تركته هذه الثورة من آثار اقليمياً وعالمياً .

فيما تبدأ المرحلة الثالثة بعد استسلام أحد رموز الثورة للحكومة المركزية سنة ١٩١٩ .

أما المرحلة الرابعة والأخيرة فتبدأ مع الانقلاب الشيوعي ضد قيادة ميرزا وتفجر الصراع المسلح داخل قوّات الثورة مما دفع بالانكليز الىٰ تدبير مؤامرة انقلابية عبر عملائهم في خطّة احتلال قوّات القوزاق لطهران وتشكيل حكومة عسكرية للاستفادة من هذا الصدع والانقضاض علىٰ قوات ميرزا كوجك خان وهو الفصل الذي انتهىٰ بمصر قائد الثورة في عواصف ثلجية وظروف طبيعية قاسية .

وفي المرحلة الأولىٰ التي تمتد ثلاثة أعوام ، يشكل الثوّار تحدّياً جدّياً للوجود الروسي ويتسببون في احراج الحكومة المركزية لأن مجموعة من الثوّار وباسلحة بدائية سجّلوا

انتصارات باهرة علىٰ الروس وعملائهم في گيلان فيما تقف القوّات الحكومية عاجزة عن حماية أرواح الأهالي وصيانة استقلال البلاد من التهديدات الاجنبية .

**الغابة . . أعراس ومآتم :**

حاول الروس في البدء أن يلعبوا من وراء الستار ، ذلك أن الثورة لا تهدد الوجود الروسي فقط ، فهناك من الايرانيين انفسهم من سينتفض ليقدّم خدماته للاجنبي حفاظاً على ثروته والاسلاب التي حصل عليها في ظل الاستبداد الحكومي والتعسّف .

وفيما كان «حشمت الدولة» حاكم گيلان يسعىٰ جاهداً لتهدئة الأوضاع كان الروس يحركون بيادقهم باتجاه الغابة حيث يكمن الرجال الاشدّاء .

وكان «عبدالرزاق شفتي» أحد الشخصيات المتنفذة هو بداية الاصطدام المسلح على نطاق واسع ، وهو رجل تتجسد فيه روح الشرّ رجلاً بديناً مع شارب مفتول واستهانة بارواح الناس قد أكّد للقنصل الروسي أن سيلتهم التمرّد كما يلتهم ثمرة تين ناضجة .

ويتحرك عبدالرزاق مع قوّاته باتجاه غابات فومن في

الجنوب الغربي من رشت .

وعلىٰ بعد ستة كيلو مترات من رشت كان الثوّار يكمنون لمرتزقة الاجنبي ، وقد بوغت عبدالرزاق الذي فضل الفرار بعد مصرع بعض رجاله المعروفين بالاقدام !

ولقد كان لهذا الانتصار دويه في انحاء گيلان خاصّة في رشت ولاهيجان التي تقع في شرق رشت الأمر الذي دفع بالكثيرين من أهالي گيلان بالتوجه الىٰ الغابة والاعراب عن اعتزازهم بالثورة والثوّار وعرض خدماتهم .

ومن هنا يمكن القول أن كوچك خان كان موفقاً في اقدامه على الثورة مع قلة انصاره

ذلك ان الاقدام وتجسيد العمل الثوري هو وحده الذي سيتكفل في نموّه وتصاعده .

فبعد هذا الانتصار اظهر حزبان صغيران كانا يعملان في رشت هما «الحزب الديمقراطي» وحزب «الاتحاد والترقي» اظهرا تأييدهما لحركة كوچك خان والتحق بعض اعضائهما بالغابة .

الأمر الذي جعل المتنفذين في گيلان ان ينظروا بجدّ الىٰ تلك «الحفنة من العصاة» وأن يحسبوا لها ألف حساب .

**القوّة والاستقامة :**

كثيروان جدّاً من نسوا أهدافهم بعد سكرة النصر . . وكثيرون أيضاً ممن ينسون أنفسهم في غمرة الحوادث ، ولكن ميرزا ليس من صنف أُولئك ولا هؤلاء . . كان شعاره القوة والاستقامة . . قوّة الحق . . والاستقامة مهما كانت النتائج ، ولعلّ عظمة ذلك الثائر تأتي من بقائه هو هو بالرغم من الاحداث العاصفة ، وظلمة الطريق وغدر الرفاق .

**وهزيمة لبيدق آخر :**

وبعد هزيمة «الشفتي» نرىٰ انتهازياً آخر يبحث عن الفرص يغتنم هذه الظروف ليتقدم الى القنصل الروسي عارضاً عليه خدماته . . . ولم يكن «مفاخر الملك» سوىٰ ذلك الانسان المغمور الذي وصل رشت باحثاً عن لقمة للعيش[51] ، وراح يندرج في حياته منتهزاً الفرص من أجل تحقيق هدفه في حكومة گيلان .

ويتحرك «مفاخر الملك» مع أفراده وفيهم الطامعون والخائفون وبعض الأرامنة ايضاً .

ونظرا لشخصية رئيس الشرطة فقد كان التحرك الجديد اشبه بمظاهرة لبث الرعب ونوع من الحرب النفسية ، بسبب

صـــهيل الخـيل ورنـين الاجـراس وأدوات التـعذيب المـتعددة الاشكال .

اجتازت قافلة الرعب «بسيخان» ، «جـمعه بـازار» لتـحط رحالها في سوق فـي قـرية «كسـما» المـتاخمة لغـابات فـومن واتخاذها مقرّاً .

كان الثوار يراقبون عن بعد مسـار التـحرك الجـديد حـتىٰ وصوله كسما ؛ وفي الظلام أغار الثـوار عـلىٰ مـعسكر العـدو وأضرموا النار فيه لتشتعل معركة لمدّة ساعات سقط اثناءها بعض القتلىٰ والجرحىٰ بين الفريقين وكـان الثـوار يسـيطرون تماماً على الموقف ، وأعلن المحاصرون الاستسلام ، ليتحول ذلك الطـاغية الصـغير الىٰ فأر مـذعور زائـغ العـينين يـلتمس العفو .

وكان مطلب رئيس الشرطة هو النزول عـلى حكـم مـيرزا معلقاً آماله علىٰ ذلك القلب الرحيم .

وقد اصدر ميرزا أمره بالاحتفاظ به لمحاكمته ، ولكن أحد رفـاق مـيرزا وهـو حـاجي أحـمد كسـمائي أشـار لابـن اخـته بتصفيته في الطريق .

واكتفىٰ ميرزا بأن رمق بنظره عتب رفـيقه فـي النـضال ؛ وقد ترك هذا الحادث ظلالاً ولا شك على علاقتهما .

كان ميرزا يؤمن بانسانية الانسان ويعلق آماله على الجانب الانساني في الكائن البشري ولهذا كان ينفذ في القلوب حتىٰ قلوب أعدائه .

وسوف نرىٰ ان حاجي احمد هذا لن يواصل طريق ميرزا وسيتخلىٰ عنه في منتصف الطريق «ذلك أن الحوادث هي التي تكشف عن معادن الرجال» .

القىٰ ميزا خطاباً مؤثراً في أسراه معتبراً إياهم أخوة له بالرغم من عدم توقعه أن يرفع الأخوة في وجهه السلاح ، ولذا نصحهم بالاستغفار والتوبة وخيرّهم بين الانضواء تحت راية الثورة أو العودة الىٰ أهلهم ، «فأن هدفنا هو بناء الوطن والانتقام من اعدائه» وقد فضل بعض الاسرىٰ الانضمام الىٰ الثوّار فيما رغب آخرون بالعودة ، فنصحهم ميرزا أن يفتحوا عيونهم جيداً ولا ينخدعوا بوعود الاجنبي .

**نسيم الحرّية :**

اثبت الثائرون قدراتهم القتالية وشجاعة ومقاومة تنم عن اخلاص للمبادىء واعتداد بالنفس كبير .

وفيما كان ثوار الغابة يعززون من تنظيمهم الثوري وقد وصل عددهم السبعين مقاتلاً كان القنصل الروسي يفكر

بضربة قاضية للقضاء علىٰ الثورة قبل أن يستفحل أمرها ذلك أن الخطر يكمن في رشت نفسها في قلوب أهالي گيلان المقهورين اذا ما رأوا أمام اعينهم البطل المنقذ وقد تجسد في رجل منهم اسمه ميرزا .

وكانت خطة القنصل أن يزجّ في المعركة ثلاثمئة من قوات القوزاق الروسي وبخمسين من القوزاق الايرانيين بقيادة «ابو الفتح خان ياور» .

وتتحرك نخبة قوّات القوزاق المدرّبة تدريباً عالياً باتجاه الغابة مجتازين قرية «كسما» دون اشتباك مع الثوار .

وفيما كانت القوات الروسية تواصل تقدمها باتجاه «ما كلوان» علىٰ طريق «اشكلن» كان بعض ثوار الغابة بقيادة كوجك خان يكمنون في مرتفعات «گسكره» تساندهم قوّة من المجاهدين وعلى اليسار كانت مرتفعات «گلونده رود» الوعرة تاركين نقطة العبور باتجاه «ماسوله» مفتوحة .

وبالرغم من أن المبادرة كانت في أيدي الروس هذه المرّة بعد اكتشافهم مواقع الثوار إلّا أن المرتفعات قد منحت المقاومين سلاحاً طبيعياً في الدفاع .

وكان لشجاعة المجاهدين بلا ريب الدور الاكبر في حسم المعركة التي استمرت لساعات طويلة لصالح الثوّار ؛ وكانت

معركة حاسمة سجلت فيها حركة «هيئت اتحاد اسلام» أول انتصار ساحق على الاجنبي الروسي .

وقد بلغ من عنف وضراوة المعركة انه لم يتمكن سوى ١٣٤ مهاجماً من الفرار والوصول الىٰ «صومعة سرا» في الشمال الغربي من رشت فيما قتل أو اسر الباقون .

وقد ضاعف من قدرتهم الحربية ما حصلوا عليه من الاسلحة والخيل التي كان لها دور حيوي في سرعة التحرك والهجوم والمناورات .

كان لهذا الانتصار آثاره في گيلان كلّها وترك صداه في مجلس الشورى أيضاً ، ووجدت حركة «هيئت اتحاد اسلام» التي تطلق الرصاص على الروس أنصاراً ومؤيدين ؛ وهبت نسائم الحرّية علىٰ گيلان المقهورة . . گيلان الفقراء الرازحين تحت نير الظلم . .

أصبحت حركة الغابة ظهيراً للمستضعفين الذين يكدحون في الأرض فلا يجدون ما يأكلون .

والذين يعرفون گيلان . . گيلان أرض الغابات والمطر والزروع . . حيث الأرض كلها عطاء وخير . . . الذين يعرفونها سيصابون بالدهشة لهؤلاء المحرومين من الناس . . كيف يتضورون جوعاً في تلك الأرض الخضراء ؟ !

لقد تحولت گيلان الىٰ مخازن واسواقٍ للجيوش الروسية والانكليزية في أول حرب عالمية مدمّرة .

وفي خطوة جريئة أقدم الثوّار علىٰ اطلاق سراح الأسرىٰ من الايرانيين مقابل كلمة شرف انهم لن يعودوا الىٰ قتال أخوتهم في الوطن والدين والمصير .

وقد رفعت هذه الخطوة الاخلاقية من اسم الثورة عالياً لتترك صداها لدىٰ بعض الوطنيين في الحكومة المركزية .

ولقد هزّ الانتصار الدوائر الروسية التي راحت تخطط لضربة قاصمة وتدارك الاوضاع الوخيمة التي زعزعت هيبتهم في النفوس .

واصبح الذين يظلمون الفلاّحين بالأمس يخافون اليوم . . يخافون رجالاً في الغابة كانوا قد أقسموا علىٰ محق الظلم وطرد الاجنبي الجاثم فوق أرض الوطن .

**الطريق الدامي :**

ان مرارة الهزيمة في بعض الاحيان توقظ لدىٰ الثائر احاسيس النصر ، وتطرد من الروح سكرة النصر . . كان الروس يعدّون العدّة لضربة ماحقة ، وتمكنوا في النهاية من تحشيد اربعة آلاف فارس من قوّات القوزاق بقيادة

«كـالتشسكوف» والتـقدم بـاتجاه الغـابة تسـاندهم قـوّات المدفعية .

وتتحدث إحدىٰ الوثائق السرّية لوزارة الداخلية عن دعـم حكـومي لـ«امـير مـقتدر» الذي أبـدى اسـتعداده فـي الاسـهام بالهجوم الكبير الذي يجري الاعداد له[52] .

وتتحدث الوثيقة عن حشود مـن القـوزاق الايـرانـيين مـع اسناد مدفعي تتحرك من رشت .

وكانت الخطة تقضي بأن يبدأ «ما ما نوف» القائد الروسي هـجوماً على طريق «زنجان ـ ما سوله»[53] ، فـيما تـتقدم قـوّات المشاة من رشت باسناد مدفعي ووضع قوّات الغابة بين فكي كماشة .

وقد اسهمت الظروف الطبيعية فـي تـدهور الأوضـاع مـن سيء الىٰ اسوأ فقد كان الثلج يهطل بغزارة وقد تعذر علىٰ الثوار الاحـتفاظ بـطريق الامـدادات وكـان البـرد قـارساً . وخـلال الاشتباكات سقط العديد من الشهداء بلغوا اربعة عشر مـقاتلاً فيما وقع بعض الثوار اسرىٰ بيد العدوّ ، اضافة الىٰ عديدين لقوا مـصارعهم بسـبب البـرد والصـقيع مـن بـينهم شـاب يـدعىٰ «عنايت» هو ابن اخت ميرزا كوجك .

واضـطر المـجاهدون الىٰ الاعـتصام بـذرىٰ الجـبال

والكهوف .

لقد كانت ضربة قوّية ولكن الضربة التي لا تقصم الظهر تقوّيه .

اذ مرّت ثلاثة شهور لم يسمع أحد عن الثوّار إلّا أنهم ما يزالون يلعقون الجراح ويعدّون العدّة لجولة أخرىٰ فطريق الثورة طريق دام طويل .

بعد تسعين يوماً من الاختباء خرج الثوّار من مكامنهم ليدوّي أزيز الرصاص مرّة أخرىٰ وترتفع راية الثورة الحمراء في سماء الغابة .

واستأنف الثوّار عملياتهم ، وكان حاكم گيلان «حشمت الدولة» يتعاطف مع الثّوار فأبرق الى أحمد شاه مؤكداً له أن لاخطر علىٰ الحكومة أبداً وأن الحركة تخدم أهدافاً وطنية .

وفيما كان القنصل الروسي يضغط باتجاه معاكس مطالباً بوضع حدّ لحركة الغابة صدر مرسوم من الشاه في صالح ثورة الغابة وانسحبت القوّات الحكومية ، فيما غادر حشمت الدولة رشت متوجهاً الىٰ غابات فومن للقاء ميرزا والاتفاق علىٰ وقف العمليات الحربية مقابل ضمانات حكومية بعدم تعرض الروس للأهالي واحترام القانون .

وهكذا تم لقاء فضل ميرزا عدم حضوره مكتفياً بارسال

رفيقه في الجهاد «الدكتور حشمت» و «محمود كسمائي» .

وهكذا الثوّار أحكم نفوذهم علىٰ «گوراب زرمخ» وكسما ومناطق اخرىٰ .

وهذا التقدم السريع للثورة حصل بلا ريب بسبب تعاطف الحكومة الوطنية في طهران برئاسة ، مستوفي الممالك ، ويعزو البعض موقف الحكومة المتعاطف الىٰ تأثير الدكتور حشمت الذي تبادل رسائل عديدة مع «مستوفي المالك» وكسب ودّه ازاء اهداف الثورة .

وبالرغم من سقوط حكومة «مستوفي الممالك» ، ومجيء حكومة متفاهمة مع الروس ، فقد تم توقيع الاتفاق استجابة لرغبة احمد شاه .

وقد تظاهر القنصل الروسي بارتياحه للنتائج ولكنه راح يعمل على نسف الاتفاق من خلال تجاوزات علىٰ الاهالي والضغط على الحكومة في اقالة «حشمت الدولة» وتنصيب «مفاخر الدولة» حاكماً لگيلان .

وقد استنكرت صحيفة «جنگل» الناطقة باسم الثورة هذه الخطوة .

وكان اقدام الروس في العدوان على الأهالي وقتل الابرياء قد وضع حدّاً للهدنة اذ قرر الثوّار الانتقام وسرعان ما أغارت

قوّة من الثوار علىٰ رتل روسي وقتل بعض الجنود .

وقد فجر الحادث الموقف وبدأت الاستعدادت العسكرية للمواجهة ، التي تزامنت مع سقوط الحكومة ايضاً وتنصيب «امين الدولة» رئيساً للحكومة .

ولقد كان امين الدولة وهو صهر مظفر الدين شاه الذي تزوج من الأميرة «فخر الدولة» عمة الصغيرالملك وحصل بسبب ذلك على أملاك واسعة في گيلان متحمساً اكثر من الروس في قمع الحركة الثورية التي تهدد أملاكه وأراضيه وأماكن لهوه بالخطر .

وفيما كان «امين الدولة» يعد العدّة ويسلّح فلاحيه الذين يعملون في أرضه كان الثوّار يباغتونه في قصره ويقتادونه أسيراً الىٰ الغابة ، وكانت هذه العملية الجريئة قد أحبطت مساع حثيثة من قبل الحكومة الجديدة بالتعاون مع الروس للانقضاض على الغابة .

وهكذا أمسك الثوّار بزمام المبادرة إذ اصبحت الحكومةعاجزة عن فعل شيء .

وفي هذه الفترة اتسع نشاط الثوّار وأصبح لهم مركز في لاهيجان حيث انصرف الدكتور حشمت لاعمار المدينة وانعاش أراضيها ببناء سد في منجيل واحداث نهر «حشمت

رود» الذي انقذ مزارع واسعة من الجفاف حيث يعمل فيها آلاف الفلاحين .

لقد اصبحت الحياة بالنسبة لامين الدولة ذلك المترف جحيماً لا يطاق .

فالغابة ليست منتجعاً إنها مكمن الرجال الاشدّاء ، ولهذا عمل على فك اسره بدفع فدية قدرها ٧٠,٠٠٠ تومان وهو مبلغ كبير .

ولقد انعشت هذه الفدية الحركة بل وكثيراً من فقراء القرىٰ والارياف .

وقد جاء وقوع «أمين الدولة» في أسر الثوّار متزامناً مع التقدم الروسي باتجاه «همدان» للتنسيق مع الجيوش الانكليزية ، مما دفع بالجيوش العثمانية الى الاندفاع نحو أذربيجان وكردستان لقطع الطريق علىٰ التقدم الروسي .

وقد حاول الروس والانكليز توريط الحكومة الايرانية في الحرب العالمية واعلان عدائها للعثمانيين والالمان فصوّت مجلس الشورى ضد المشروع فعطل المجلس اثر ذلك .

وردّاً على ذلك شكل الوطنيون خارج طهران حكومة مؤقتة باسم «ايران الحرّة» كان الشهيد حسن مدرس أحد اعضائها وقد لقيت الخطوة تأييداً واسعاً من قبل رجال وطنيين من بينهم

«احسان الله خان» الذي سيكون له شأن في حركة الغابة فيما بعد .

وفي همدان كان الكولونيل «محمد تقي خان بسيان» قائد الجند في همدان يقاوم النفوذ الروسي وحدثت اشتباكات بين الفريقين .

كانت خطة الحلفاء ، أن تندفع القوّات الروسية بقيادة «بارتوف» باتجاه بغداد عبر خانقين لتلتقي مع القوّات الانكليزية هناك .

وقد وقفت العشائر الكردية وخاصّة «السنجابيين» بوجه التقدم الروسي الذي اصبح يواجه مصاعب عديدة ، وكان الوطنيون الايرانيون يسهمون في نصرة القوّات العثمانية والتي حققت انتصاراً ساحقاً في «كوت العمارة» حيت استسلم أسرىٰ هنود وانكليز وقد شجع هذا الانتصار العثمانيين في الاتجاه صوب كرمنشاه ولكن الروس الذي وصلتهم تعزيزات عسكرية دفعوا العثمانيين الىٰ الوراء .

وفي خطوة غير مفهومة أقدم العثمانيون علىٰ خلع سلاح الوطنيين الايرانيين الذين اضطروا الىٰ دخول الاراضي العثمانية ، وقد اثار هذا الموقف الفظ غضب الوطنيين ودفعهم الىٰ مغادرة الاراضي العائدة للعثمانيين والعودة الىٰ الوطن ،

فيما فضل بعضهم الهجرة الىٰ ألمانيا ودول أوربية أخرى .

وفي تلك الاثناء وردت الانباء عن استسلام الجيش الانكليزي بقيادة الجنرال «طوشاند» للقائد العثماني خليل باشا وقد بلغ عدد الاسرىٰ ١٤,٠٠٠ اسير .

الأمر الذي أوقف التقدم الروسي .

**موقف الغابة من الصراع العالمي :**

ليس عسيراً أن نكتشف الأُصول التي استندت اليها حركة الغابة في تحديد موقفها من أطراف الصراع العالمي فهناك الروس والانكليز اللذين ساموا ايران الهوان خلال عقود طويلة من الزمن .

وليس هناك ما هو اكثر جلاءً من محنة المشروطة فبينما كان الروس يصبون حمم مدافعهم ، على الشعب الأعزل كان الانكليز ينفذون بخبث الىٰ روح الحركة الدستورية لسلخها عن الدين والشريعة ؛

ومن هنا جاء موقف الحركة المنسجم تماماً مع موقف الرأي العام الشيعي .

فالرأي العام الشيعي في العراق وكما هو معروف كان مسانداً للعثمانيين بسبب العواطف الدينية بالرغم من السياسة

الطائفية للامبراطورية تجاه رعاياها الشيعة .

ولم يمنع ذلك التمييز الطائفي والقهر السياسي والاجتماعي القبائل الشيعية في جنوب ووسط العراق والقبائل الكردية في الشمال من الوقوف بوجه التقدم الانكليزي والروسي .

وفي غمرة تلك الاحداث سقطت بغداد دون مقاومة تذكر[54] .

ومن الطبيعي أن تقف «هيئة اتحاد اسلام» وقوّتها الثورية المسلحة الىٰ جانب الدولة الاسلامية في اسطنبول ولو علىٰ المستوى العملي .

فقط فثورة الغابة كانت ومنذ انطلاقتها الأولىٰ تقاتل الوجود الروسي والنفوذ الانكليزي وهما عدوا الدولة العثمانية .

كانت ثورة الغابة قد تركت اصداءها خارج ايران مما دفع بأنور باشا القائد العام للجيوش العثمانية الىٰ التفكير بدعم الحركة بالسلاح ، وأنور باشا هذا ينتسب الىٰ جمعية اسلامية متأثرة بافكار السيد جمال الدين .

لهذا ومن أجل وقف التقدم الروسي في الأرض الايرانية أسرع الىٰ ارسال هدية الأخوة الاسلامية يحملها «حسين أفندي» التبريزي الاصل والذي تلقىٰ دراسته في «جامعة

اسطنبول» واشترك في مقاومة الروس في كردستان وقد نجح حسين افندي في ايصال الهدية العثمانية الىٰ منطقة «بيجار» وأرسل مبعوثه الى ثوّار الغابة معتذراً عن عجزه في التقدّم اكثر .

فيما اخفق «سلطان علي» الذي كلّف بايصال مدفع عثماني حيث القي القبض عليه .

وقد انبرى مجاهدان الىٰ التوجه الىٰ «بيجار» واستلام هدية أنور باشا التي كانت عبارة عن: «٣٠٠» بندقية وكميّات من الذخيرة وساعة ذهبية ونسخة نفيسة من المصحف الشريف وسيفاً مرصعاً مكتوبة عليه كلمات الاهداء باللغة التركية .

وقد لازم حسين افندي ميرزا كوجك في جهاده ضد الروس ولقي مصرعه في احد الاشتباكات .

ومن أجل تعزيز القدرات الحربية وصل ضباط عثمانيون شاركوا الثوّار حربهم ضد الروس والانكليز فيما بعد .

وفي تلك الفترة كانت حركة الغابة قد بسطت نفوذها على كل گيلان تقريباً ، وراحت تنشىء المدارس ، وتقيم السدود وتبني الوطن .

وعندما تأسست أول مدرسة لتعليم فنون الحرب تدفق

الشباب من كل حدب وصوب ليكونوا جنوداً في قوّات الثورة .

وفي لاهيجان تأسس نظام وطني وفي كسما بدأت لجنة الحرب اعمالها كوزارة للحرب والدفاع .

واصبحت گيلان مأوىٰ اللاجئين من المغضوب عليهم من قبل الروس والحكومة وفي تلك الفترة لجأ الىٰ الثوّار ضابط المان كبار كانوا قد فرّوا من معسكرات الأسر الروسية .

أصبحت في گيلان حكومة مستقلة تديرها لجان هي بمثابة وزارات ، وكانت «هيئت اتحاد اسلام» توجه نداءاتها لكل وطني كفوء من أجل أن يخدم أمّته في أرض گيلان الحرّة .

لقد نجحت هيئت اتحاد اسلام التي تتألف من ٢٧ عضواً أغلبهم من علماء الدين في إرساء نظام وطني ، وكانت تجربة ثورية ناجحة حققت اهدافها في أقل من ثلاثة أعوام .

وأن المرء ليقف باجلال أمام شخصية ميرزا كوچك الذي نجح من خلال لجوئه الى الغابة في تشكيل أولىٰ خلايا الثورة ، واثقاً بان ثورة ما لن تنجح مالم تتجسد أخلاقها ومبادئها وطريقها في آن واحد .

ومن المؤكد أن ميرزا لن ينجح في ثورته لو لم يكن مؤمناً بالله ذلك الايمان الوجداني العميق ، ولو لم يكن يؤمن بالاستشهاد طريقاً للأحرار أو الحياة الكريمة .

# الفصل الثاني

## ١٩١٧ ـ ١٩١٩

«ان الخطر الذي يهدد الثورة، أية ثورة كانت ، هو من الداخل . . هناك في قلوب الثوار ، حيث تحتدم الافكار والعواطف وتتصارع القيم والغرائز . .».

# ثورة اكتوبر الكبرىٰ

كانت سنة ١٩١٧ عاصفة بالحوادث ، فقد وصلت الحرب العالمية اخطر منعطفاتها وكانت المدن التاريخية تتساقط الواحدة بعد الأخرىٰ .

ثم وقع حادث كان له الأثر الكبير في مسار الحرب عندما انفجرت ثورة في روسيا القيصرية خلع اثرها القيصر لينهض نظام آخر .

وفي نفس العام تورطت اميركا في أوحال الحرب المدمّرة فيما كانت الدولة العثمانية تتجّه نحو مصيرها البائس .

وفي تلك الفترة ظهر شبح الجوع مرعباً قاسياً لا يرحم وفيما كانت الثورة في روسيا تتخبط وكانت الهزيمة النفسية تجثم فوق قلوب جنود روسيا خاصّة في الجبهة الالمانية ، وصل لينين في ١٦ نيسان ١٩١٧ بطرسبرغ التي اصبحت فيما بعد «لينيغراد» في عملية القطار المغلق التي ما تزال حتىٰ الآن تثير اسئلة عديدة .

عندما نجحت الثورة في روسيا تسلمت الحكم قيادة ليبرالية بزعامة كرينسكي .

اعلنت أنها ستزيد من أوار الحرب ضد الالمان .

ويومها كان لينين يعيش حياة المنفىٰ في المانيا ، ففكرت القيادة الالمانية في أن لينين قد يتمكن من اشغال روسيا في حرب داخلية فيخفف من ضغوط الجبهة الروسية في الشرق .

وهكذا وضع تحت تصرف لينين قطار سريع مغلق عبر به الأراضي الالمانية وبولندا حتىٰ الحدود مع روسيا ومن ثم الىٰ بطرسبرغ وخلال تلك الفترة أي بين انتصار الثورة وتسلم لينين الزعامة كان طريق الثورة ما يزال غامضاً ولما تتضح معالمه بعد[55] .

وفي ٧ تشرين الثاني احتل الجيش الاحمر قصر الشتاء والقي القبض علىٰ اعضاء حكومة كرينسكي وبذلك بدأ صعود لينين الذي قرأ منشور السلام المتضمن وقفاً فورياً لاطلاق النار في كل الجبهات .

وقد استقبلت المانيا الاعلان بحماس فيما عدّته بريطانيا طعنة بخلاء بالرغم من رغبة الأخيرة في ابعاد روسيا عن ايران والهند .

وفيما كان الانكليز يواجهون الفشل في مناطق عديدة سقطت مدينة القدس[56] في ايديهم ليزيد ذلك من وتيرة التراجع العثماني باتجاه الفناء .

وفي تلك الفترة كان شبح القحط يجثم فوق طهران .

كان الجوع يجتاح العاصمة الايرانية ويفتك بسكانها وفي هذه الفترة العصيبة التي تتزلزل فيها القيم الانسانية أقدم ميرزا وفي خطوة انسانية وموقف نبيل علىٰ ارسال كميات كبيرة من الرز الشمالي لأهالي طهران واشتهر الرز المرسل من حركة الغابة باسم «رز كوجك خاني» .

وفي ذلك المقطع التاريخي الذي يمتد الىٰ حوالي عامين عززت «هيئت اتحاد اسلام» وجودها لتصبح حكومة لانقاذ الوطن .

وفيما كان الروس يستعدون للانسحاب ، كان الانكليز يتحفزون لملء الفراغ الروسي مستخدمين قوّتهم العسكرية وماكنتهم الحربية المتفوقة اضافة الىٰ وسائل هابطة في مقاييس الانسانية عندما تقدم السفارة البريطانية مثلاً علىٰ شراء كل ما يعرض في الاسواق من القمح وخلق مجاعة كاذبة[57] .

## الطريق الىٰ آبار البترول :

كانت القيادة الانكليزية تتطلع الىٰ احتلال القفقاز ، فلقد اربكت الثورة الروسية امداداتها واحدثت فجوة هائلة في مسار الحرب ولذا صدرت الأوامر بالتحرك فوراً الىٰ القفقاز قبل وصول القوّات العثمانية ، وبالتالي تدفق الالمان باتجاه مركز آسيا .

ولهذا أرسلت القيادة الانكليزية التي نقلت مقرّها من همدان الىٰ قزوين الكولنيل «استوكس» للتفاوض مع الثوّار ، وقد اخفق العقيد في مهمته لأن الثوّار لن يسمحوا للاطماع البريطانية أن تمتد الىٰ آذربيجان حيث تنهض حكومة مستقلة في العاصمة باكو .

كانت آخر الافواج الروسية بقيادة «بتشراخوف» تتأهب لمغادرة الأرض الايرانية ؛ وهنا عرف الانكليز كيف ينتهزون هذه الفرصة ؛ ان القائد الروسي له ميول ضد الثورة . وهكذا بدأت اتصالات مشبوهة بين الانكليز والقائد الروسي .

أرسل ميرزا مفاوضاً المانياً هو الرائد «فون پاشن» ليعرض على الروس تسهيلات من أجل الانسحاب بسلام ؛ وكان موقف حركة الغابة هو الحؤول دون التقدم الانكليزي باتجاه باكو .

واسفرت المفاوضات بين الطرفين عن اتفاق شفهي يقضي بالانسحاب شرط عدم تعرض المجاهدين للقوّات الروسية ، واستمهل «فون پاشن» القيادة الروسية مدة ٢٤ ساعة لاحاطة القائد ميرزا كوجك خان بذلك وترتيب ضمانات عسكرية .

هل تظاهر القائد الروسي بالموافقة ؟ ؟ هل سقط صريعاً أمام إغراء الانكليز ؟

كانت طائرتا استطلاع انكليزيتان قد اقلعتا من قزوين وراحت تستكشف مواقع الثوّار في منطقة منجيل في أقصىٰ الجنوب الغربي من «اقليم گيلان» وفي منتصف الطريق بين قزوين وميناء «أنزلي» على بحر الخزر .

ولم تمض ساعات فقط علىٰ المهمة المحددة بـ ٢٤ ساعة حتىٰ بدأت المدافع الروسية تصبّ حممها بدقة فوق مواقع الثوّار والمجاهدين وذلك في الرابع من رمضان ١٣٣٦ .

واعقب ذلك هجوم شامل شنه الفرسان والمشاة ، ودارت معارك ضارية بالسلاح الابيض ، واجتاز الروس خطوط المجاهدين الامامية ، وكانت حرباً غير متكافئة فالثوّار لم يخوضوا قبل ذلك حرباً نظامية وكانت خططهم السابقة تنطلق من خطط حرب العصابات .

وبالرغم من ذلك فقد استبسل المجاهدون وكانت المعركة

التي دارت فوق جسر منجيل ملحمة بطولية إذ صمد ثمانية عشر مجاهداً بوجه الآلة الحربية الروسية حتى النفس الأخير فيما اسر قائد المجموعة بعد اصابته بجراح بليغة[58].

وهكذا راحت مواقع الثوّار تتساقط الواحدة بعد الأخرىٰ لأن البنادق القديمة لا تصمد أمام المدافع الثقيلة، وبالرغم من صدور أوامر بالانسحاب حتى نهر «رودبار» إلّا أن الفوضىٰ كانت قد سادت تماماً، ليحدث صدع كبير في خطوط الدفاع.

وهكذا اصبح الطريق مفتوحاً أمام الروس ومن ورائهم الانكليز للتدفق صوب ميناء انزلي.

وسقطت رشت في الطريق وارتكب الانكليز فيها ما يندي الجبين، فيما وقف حاكم گيلان عاجزاً عن فعل شيء.

اسفرت المعركة عن سقوط مئة مجاهد في منجيل وأسر خمسين آخرين، وعشرات الجرحىٰ والمفقودين.

نجح الانكليز وبمساعدة بتشراخوف في الوصول الىٰ باكو[59]، ومن ثم تشكيل ادارة ذاتية تحت اشراف الانكليز غير أن الضغط العثماني في القفقاز كان يزداد عنفاً وسرعان ما سقطت «بادكوبه» وتم طرد الانكليز حتىٰ ميناء «انزلي» لتنهض حكومة مستقلة في القفقاز راحت علىٰ الفور تؤسس لعلاقات دبلوماسية، ولكن حقول النفط جعل من تلك المنطقة

من العالم محلاً للاطماع الدولية .

فالبلاشفة راحوا يتطلعون الىٰ احتلال آبار البترول ، فيما وقف الانكليز ينتظرون الفرصة المناسبة للانقضاض عليها .

ان التاريخ لن يغفر لمصطفىٰ كمال الذي عرف فيما بعد بـ «أتاتورك» ما قام به وما تزال مواقفه ، في غمرة الحرب العالمية تثير الشكوك فمن أجل حفنة من الذهب وسفناً حربية في البحر الأسود باع القفقاز الىٰ البلاشفة ، فانسحبت الجيوش العثمانية من كل القفقاز .

وفي تلك الفترة استأنف الثوّار نشاطهم وراحوا يشنون الغارات الخاطفة على طول الطريق بين منجيل وانزلي ولم يبق للانكليز موقع ثابت إلّا في رشت وبعض اطرافها .

ومن أجل اثارة الرأي العام ضد حركة الغابة بدأ الانكليز لعبتهم الخبيثة في شراء وخزن ما يعرض من الرز .

وكان تجّار الحرب ينفذون الخطط الدنيئة للانكليز ، فانتشرت المجاعة في گيلان . . گيلان الخضراء ! !

كل ذلك من أجل تركيع السكان ، والقاء اللوم علىٰ حركة الغابة والمجاهدين .

كانت الطائرات الانكليزية ما انفكت تقصف مواقع في الغابة هنا وهناك ، ولم يغفل الانكليز لحظة واحدة عن استخدام

جواسيس للكشف عن مواقع الثوار خاصة مقرّ القيادة حيث يعيش قائد الحركة العنيد ميرزا كوجك خان .

ولقد وقع حادث غريب عندما حلقت طائرات انكليزية في سماء «كلاشم» حيث يعقد ميرزا اجتماعاً مع قادته وراحت تمطر بقذائفها بناية محدّدة ، وكاد ميرزا يلقىٰ مصرعه في القصف ، ومن الطبيعي أن تحوم الشكوك حول البعض بسبب دقة القصف وظهور الطائرات المباغت وعدم قصفها أي مكان آخر في ذلك اليوم .

وكان المتهم يعمل مترجماً لدىٰ الانكليز ، وقد القي القبض عليه في ميناء انزلي فميا بعد .

وفي شوّال أي بعد شهر واحد من معركة منجيل شنّ الثوار غارة جريئة علىٰ معسكر انكليزي علىٰ الطريق الواقعة بين رشت وبسيخان في الغرب ، وكان الهجوم علىٰ محورين قاد أحدهما ميرزا كوجك خان بنفسه .

وفي منتصف الليل بدأ ازيز الرصاص ينهال علىٰ الانكليز من كل صوب ، ولكن الانكليز استخدموا المدافع والطائرات ، ولذا قرر المهاجمون الانسحاب ؛ وقرر الانكليز بعد انسحاب الثوار اضرام النار في رشت كلها ، ولعل في مخيلة القائد الانكليزي منظر مدينة روما وقد التهمتها نار «نيرون» ؛ ولكن

الانكليز اكتفوا باضرام النار في منزلين فقط يعود أحدهما الىٰ ممثل الثوّار في رشت والآخر الىٰ أحد رموز الثورة وهو حاجي أحمد كسمائي .

واثر ذلك بدأ الانكليز حملة واسعة للبحث عن الثوار .

وخلال عملية البحث قام الانكليز بتحويل بعض المنازل الىٰ خرائب وانقاض ، كما قتل بعض المجاهدين .

وفي هذه الفترة كانت الوزارة في طهران متفاهمة مع الانكليز في ضرورة القضاء علىٰ حركة الغابة نهائياً ، ولذا اختارت الحكومة في طهران ومن ورائها الانكليز لاهيجان هدفاً للهجوم القادم ، كان الدكتور حكمت يشرف على نظام وطني يدير المدينة وضواحيها ، وقت الاصطدام المسلح .

**الهدنة :**

بالرغم من ان الانكليز قد احكموا قبضتهم علىٰ رشت تماماً ولكن الغارات كانت مستمرة ، وأصبحت الطريق المؤدية من قزوين الىٰ ميناء انزلي اكثر عرضة لهجمات المجاهدين ولذا فكروا بتوقيع اتفاقية سلام اشبه بالهدنة .

أمّا الثوّار فقد استجابوا لدعوة السلام انطلاقاً من اسباب اخرىٰ في طليعتها القحط الذي تفاقم بصورة فضيعة ،

وقد اصبح الجوع شبحاً مخيفاً يهدد كل شيء ويزلزل كل الثوابت خاصّة في الأوساط الفقيرة التي سحقها الجوع سحقاً .

كما أن الثوّار يحتاجون هدنة لاعادة بناء قواهم المنهكة ، وفي آب ١٩١٨ بدأ القنصل الفرنسي وساطته .

وعلىٰ بعد ثلاثة كيلو مترات من رشت التقىٰ ممثلون عن الثوار نظراءهم من الانكليز .

وتضمن الاتفاق الذي جاء في ثمان نقاط مكتسبات للطرفين ، أملتها ظروف الصراع :

١ ـ تلتزم لجنة «اتحاد اسلام» بعدم التعرّض عسكرياً لطريق «قزوين ـ انزلي» والذي يدعىٰ بـ«طريق العراق» ، وتوضيح ذلك انه لا يحق لقوّة عسكرية باستثناء الانكليز أو القوّات الحكومية استخدام الطريق المذكور .

٢ ـ تلتزم لجنة «اتحاد اسلام» بعدم توظيف الاجانب ممن ينتسبون الىٰ دول معادية لبريطانيا .

٣ ـ يتعهد ممثلون عن «لجنه اتحاد اسلام» بتوفير المواد الغذائية للقوّات الانكليزية في گيلان في مقابل التزام الانكليز بعدم ارسال مسلحين أو غير مسلحين انكليز الىٰ الاقليم .

٤ ـ يلتزم الطرفان باطلاق شامل لسراح الاسرىٰ من الفريقين .

٥ - يلتزم الانكليز بعدم التدخل في الشؤون الداخلية لايران إلّا عندما يقوم الايرانيون بتقديم مساعدات ما لاعدائهم وتلحق الضرر بهم .

٦ - يلتزم الانكليز بعدم التعرّض لأهداف ومقاصد «لجنة اتحاد اسلام» ما دام يصبّ ذلك في مصالح بريطانيا .

٧ - لأهالي گيلان حق تقرير المصير في انتخاب من يحكمهم حتىٰ ترسل الحكومة حاكماً من قبلها .

٨ - يلتزم الطرفان بعدم تجول افرادهما المسلحين داخل المدينة .

وابرز ما في النقاط الآنفة الذكر هو اعتراف بريطانيا ضمناً بتدخلها في الشؤون الداخلية لايران والتزامها بعدم التدخل المرتبط بموقف ايران أو اقدامها في مساعدة اعداء بريطانيا .

كما تبدو النقطة الثالثة مساساً بكرامة حركة الغابة في تعهدها بتوفير الموادّ الغذائية للقوّات الانكليزية الموجودة في الاراضي الگيلانية ، ولكن المتأمل في تلك الظروف ووجود طبقة من تجار الحروب وعملاء الأجنبي ، واسهامهم في اصطناع مجاعة مروّعة في گيلان ، يدرك ان هذه النقطة كانت في صالح سكان الاقليم فقد تولّىٰ مجاهدون من الحركة في تنظيم السوق والموزانة بين توفير الامدادات الغذائية للانكليز

وبين حاجة السكان في الاقليم .

ويبدو أن الانكليز بدأوا يفكرون بضربة غير مباشرة . . ضربة قادمة من طهران خاصّة بعد تصاعد موجة العداء ضد بريطانيا بعد الاعلان عن حقيقة المعاهدة الروسية الانكليزية بشأن ايران[60] .

ولذا راحوا يكثّفون في دعم واسناد حكم عميل في طهران يقدّم لهم اكثر مما يقدّم لهم المندوب السامي البريطاني[61] ومن هنا جاءت حكومة «وثوق الدولة» التي راحت تمضي قدماً في بيع ايران الىٰ بريطانيا بثمن بخس .

## وثوق الدولة :

في أواخر سنة ١٩١٨ خرجت بريطانيا ظافرة من حرب مدمّرة شهدت آسيا خلالها الويلات ، وأصبحت مناطق واسعة من الشرق تحت النفوذ الانكليزي .

وفي طهران فرض الانكليز «وثوق الدولة» (ميرزا حسن خان وثوق» رئيساً للوزراء وكانت أولىٰ مهامّه هي القضاء علىٰ حركة الغابة في گيلان .

وكانت الحكومة بالرغم من عمالتها الواضحة ماكرة في التعامل مع حركة الغابة ففي الوقت الذي كلفت فيه شخصية

دينية (حاجي آقا شيرازي) للتفاوض مع ميرزا حول نزع السلاح وانهاء حالة الحرب ؛ راحت تلعب علىٰ مشاعر أحد رموز الثورة وهو «حاجي أحمد كسمائي» وتنفخ في اعماقه روح الزعامة والمنافسة لقائد في حركة الجهاد .

ومن المفارقات في تلك الحقبة أن رموز حكومة وثوق الدولة كانت تستعجل الانكليز في توجيه ضربة ماحقة للثوار .

ولكن الانكليز عرفوا كيف ينفذون خططهم علىٰ أيدي ايرانيين .

وفي أول خطوة لضرب اكثر من عصفورين بحجر واحد أبرق القنصل الانكليزي مخاطباً شخص ميرزا كوجك خان مقروناً مع «حاجي أحمد كسمائي» ، وكان الانكليز في الآونة الأخيرة قد عمقوا هوّة الخلاف بين ميرزا وحاجي بشكل ينذر بوقوع انفجار في داخل الحركة .

ان الخطر الذي يهدد الثورة ، أية ثورة كانت ، هو من الداخل ، هناك في قلوب الثوّار . . حيث تحتدم الافكار والعواطف ، وتتصارع القيم والغرائز .

هنالك تتهدد الخطوط الأولىٰ للثورة ، وعندها يكون الخطر الخارجي قد أصبح له وجود حقيقي .

لقد جاء استسلام حاجي احمد كسمائي أحد رموز الثورة

بلا أي مبرر حقيقي مقنع ؛ غير أن قراءة في تلافيف المخ ، سوف تظهر طريقة الكائن البشري في التفكير . . عندما يتناسىٰ المرء في ظروف ما أهدافه المعلنة ، ليستجيب الىٰ أصوات تضجّ في اللاشعور حيث تكمن أهدافه الحقيقية ! !

كانت تلك البرقية قد أثارت موجة من الشكوك لدىٰ الثوّار فوراء الاكمة ما وراءها[62] .

وبعد تدارس الموقف أبرق المجاهدون الىٰ القنصل يحيطونه علماً باعتذار ميرزا كوجك خان عن حضور الموعد المقرر زماناً ومكاناً واقترحت البرقية موعداً مغايراً في المكان والزمان .

وقد ردّ القنصل في برقية أخرىٰ وبتاريخ ١٩١٩/٣/٢٨ على برقية الغابة وجاء الردّ جافاً رافضاً للموعد المقترح ومرفقاً باعلان يعلن صراحة بالغاء الاتفاق السابق بين الانكليز وحركة اتحاد اسلام ، انطلاقاً من اعتبار بريطانيا نفسها «شريكاً» في إدارة ايران !

كما تضمن الاعلان «نصيحة مخلصة» بالقاء السلاح والاستسلام للحكومة المركزية مقابل ضمانات أمنية لشخص ميرزا ، وعرضاً بمغادرة ايران ، واستعداداً لمنحه اللجوء السياسي في العراق أو «بين النهرين» كما ورد في الاعلان .

لقد كان الاعلان يقطر نفاقاً ومكراً وتهديداً ووعيداً وخياراً بين طريقين ؛ طريق الوعود الانكليزية (وثق انك ستحضىٰ بكل رعاية من جانب الامبراطورية البهية) ، وطريق الوعيد ولم يتردد ميرزا كوجك خان في الاختيار . . الاختيار بين حياة ذليلة ، وموت كريم .

وقد حدد الاعلان خمسة أيام مهلة لاعلان حركة الغابة موقفها النهائي .

ولم يكن الاعلان في حقيقتة سوىٰ ذريعة للهجوم علىٰ الغابة .

وقبل انتهاء المهلة المقررة حلّقت الطائرات الانكليزية لتقذف آلاف المنشورات الموجهة الىٰ أهالي گيلان .

وقد جاء في المنشور انذاراً نهائياً لمدّة ٤٨ ساعة فقط لكي يلقي الثوّار السلاح منذراً الأهالي بان هذه المنشورات ستتحول فيما بعد الىٰ قذائف وقنابل ورصاص !

ولقد أثار الانكليز هذه الضجة وفجروا الموقف من أجل التحضير للمعاهدة المذلّة التي سيمضيها رئيس الوزراء العميل «وثوق الدولة» والتي عدّها ميرزا كوجك خان فيما بعد صكاً في بيع البلاد للاجنبي بثمن بخس .

ولقد كان ميرزا عقبة كأداء في طريق ترسيخ النفوذ

الانكليزي في البلاد .

كان الانذار الانكليزي قد حدد غروب شمس يوم الثلاثين من جمادي الآخرة ١٣٣٧ الموافق ٤ ابريل ١٩١٩ آخر فرصة للاستسلام والقاء السلاح .

كان الانكليز على علم تام بحالة الحركة داخلياً فقد اتسعت هوّة الخلاف بين حاجي احمد كسمائي وميرزا كوجك خان ؛ واصبح تمرّد كسمائي «وراداً» في أية لحظة بعد تبادل رسائل بينه وبين شقيقه بهذا الشأن .

فقد صدر عفو مشروط بحقه من لدن رئيس الوزراء وثوق الدولة بعد مساعي قام بها شقيق كسمائي .

**الانفجار الداخلي :**

جاء استسلام حاجي أحمد كسمائي كصاعقة مدمّرة فجرّت الوضع داخلياً ذلك أنه أعلن استسلامه مع قواته واضعاً نفسه تحت تصرف الحكومة المركزية .

كان حاجي أحمد من رموز الثورة ومن الرعيل الأول وعلى علم تام بطبيعة الخطط وعالماً بمواقع الثوّار وزوايا الغابة شبراً شبراً[63] .

لقد واكب الثورة منذ انطلاقتها الأولى . . وعاش حوادثها

وفي النفس شيء . . . هناك في الاعماق السحيقة من دنيا البشر كائن مسلسل بالأغلال ولكنّه متحفزّ للعربدة في أول فرصة . .

كان الوضع بالغ الخطورة ، ووجد المجاهدون انفسهم محاصرين ، فقد سقط الطريق بين «ماسولة» ورشت في قبضة قوات القوزاق وهي تواصل تقدّمها فيما كان الطيران الانكليزي قد بدأ هجماته .

ولذا كان من الحتم إخلاء غابات «فومن» والانسحاب باتجاه لاهيجان والالتحاق بقوّات الدكتور حشمت ؛ ومن ثم اتخاذ موقف مناسب .

ولقد كان الانسحاب سريعاً مفاجئاً ومرتبكاً الى حدّ ما ، سيما وأن نهر «سفيد رود» قد شكل عائقاً مائياً صعب العبور ، ومما زاد الطين بلة أن مناطق العبور كانت في أرض مكشوفة جعلت من القوّات المنسحبة صيداً سهلاً للطائرات المغيرة .

وصلت قوّات المجاهدين منهكة فيما كان عشرون ألف جندي حكومي قد بدأوا حملة مطاردة .

لم يكن ميرزا يودّ الاصطدام بالقوّات الحكومية وكان هذا أحد مبادئه ؛ لقد كانت الثورة من أجل الوطن وضد الاجنبي المحتل ، وهو لا يريد أن تتحول ثورته الىٰ حرب أهلية واقتتال بين الأخوة .

ولهذا قرر ميرزا ومعه الدكتور حشمت إخلاء لاهيجان والاعتصام بالمرتفعات هنا وهناك في غرب گيلان .

واثناء الاشتباكات وقع عديد من الجرحىٰ والقتلىٰ في أربع معارك مهمّة وصدامات صغيرة .

وفي خضم هذه المنعطفات يفقد البعض حماسه في مواصلة الطريق . . لقد اصبح المستقبل المنظور مبهماً والمصير مجهولاً والحياة عبئاً ثقيلاً .

وعندما يفقد البعض أملهم بغدٍ أفضل ، فأنهم يستسلمون للقدر ، حتىٰ لو كان في ذلك الاستسلام موتاً .

لقد كان لعنف المعارك ومناظر الجثث الهامدة والدماء والشظايا وأنين الجرحىٰ وقعه المؤلم على واحد من ابرز رموز المجاهدين وهو الدكتور حشمت ، الرجل الذي التقاه ميرزا علىٰ قدر ليؤسسا معاً حركة الغابة ويطلقا شرارتها الأولىٰ .

ها هو الآن بعد خمسة أعوام من الصراع المرير يقرر هو الآخر الاستسلام وتسليم نفسه وقوّاته الىٰ الحكومة .

لقد وصلته ضمانات قوّية بالعفو بل ووعود بمستقبل مشرق .

وهكذا وجد نفسه يستجيب الىٰ وعد بالعفو محرر فوق

المصحف المجيد.

ويجد هذا الوعد الزائف أثره بسبب طبيعة الدكتور حشمت المتديّنة، ولم يدر في خلده أن هذا المصحف كان أحد المصاحف التي رفعت ذات يوم في سهل صفين في معركة فاصلة في تاريخ الجهاد.

وهكذا يسلم الدكتور نفسه ومعه ٢٧٠ من المجاهدين من قوّاته فسيقوا أسرىٰ.

وقد ادرك الدكتور حشمت انه ارتكب خطأ فادحاً، عندما صفعه جلواز حقير علىٰ وجهه.

هنالك أدرك كلمات ميرزا رفيقه في الجهاد تلك الكلمات التي حذرته من الانخداع بوعود حكومة فاسدة من أجل هذا قررّ المجاهد المخدوع أن يواجه قدره بشجاعة.

ولذ اعرض عن فرصة ذهبية في الفرار، منتظراً مخاض الأيام.

وقد ردّ علىٰ الاتهامات الموجهة اليه بسكوت قاتل، ثم ارتقىٰ منصة الاعدام أمام حشود الأهالي الذين تم حشرهم بالقوّة ليروا أمام اعينهم الرجل بنىٰ مدينتهم وانقذ مزارعهم وحقولهم (وليعتبروا) من مصير من يقف بوجه الحكومة المركزية.

خلع المجاهد قبعته[64] وسلّمها الىٰ أحد الأهالي ، وسلّم نظارته الطبية الىٰ شخص آخر ، ونظر الىٰ الجموع المحتشدة نظرة تزخر بآلاف المعاني ، ثم نظر الىٰ السماء المثقلة بالغيوم ، ووضع بنفسه حبل المشنقة حول رقبته وأخرج لحيته الطويلة خارج حبل الموت .

وكان لمنظره وحركاته الهادئة وهو يواجه المصير الرهيب ابلغ الاثر في نفوس الذين احتشدوا لرؤيته ، وفي اللحظة التي اطبق فيها الحبل ، انفجرت صرخات مقهورة واجهها القوزاق باطلاق الرصاص في الهدواء . . وفرّ الأهالي ، ليبقىٰ جثمان المجاهد المظلوم معلقاً في الهواء . . بينما نسمات الهواء تداعب لحيته التي ظهر فيها المشيب .

ولم ينج من الذين استسلموا مع الدكتور حشمت إلّا نفر قليل أما العشرات فقد ابتلعتهم الزنازين في «كاشان» و «سمنان» و «دامغان» .

## معاهدة لبيع ايران !!

كان وثوق الدولة يمضي قدماً وربما اسرع مما يريده الانكليز في بيع ايران الىٰ بريطانيا وربطها بمعاهدة مذلّة تجعل من ايران اكثر من دولة محتلة مغلوبة علىٰ أمرها ، ولقد سبق

هذه الخطوة خطوات هامّة في طليعتها تصفية حركة الغابة وشلّ الحياة الدستورية أو تسطيحها ، ولم يبق هناك من يقف في طريقه سوىٰ رجلين أحدهما يتحصّن في مجلس الشورىٰ وهو الشهيد حسن مدرس والآخر في الغابة وهو ميرزا كوجك خان .

وفيما كان وثوق الدولة يتقدم في الشمال كان يعاني المصاعب في العاصمة نفسها .

في آب عام ١٩١٩ أقدم وثوق الدولة علىٰ عقد معاهدة مع بريطانيا تتألف من ست نقطا كانت بمثابة صك بيع ايران وتحويلها الىٰ بلاد مستعمرة حيث يقوم وثوق الدولة ، مقام «المندوب السامي البريطاني»[65] .

وفيما كانت الجماهير هائجة في طهران ضد وثوق الدولة كان الاخير قد نصب شخصية دموية لحكم گيلان .

وراح «تيمور تاش» الذي عرف فيما بعد بـ«سردار معظم» يطارد الثوّار ويضيق الخناق ، فكان يصدر احكام الاعدام وهو في حالة سكر ؛ بل كان يقتل المشتبه بهم دون محاكمة أو تحقيق ، وقد بلغت دمويته أن أُمر باعدام خمسة أفراد كانوا يجلبون الفحم من الغابة متهماً اياهم بالتعاون مع الثوّار ، وفي لحظة سكر رسم دوائر حمراء على خمسة من أولئك المساكين

حيث نفذت احكام الاعدام بحقهم في الصباح[66] .

وفي تلك الحقبة العاصفة كان ميرزا كوجك خان يحاول توثيق عرىٰ الاتصال مع الشهيد مدرس لعمل شيء من أجل البلاد .

غير أن الحوادث كانت تجري باسرع مما يتصوّر فقد اشرفت حكومة وثوق الدولة علىٰ السقوط بسبب الضغط الشعبي وعندها نسج الانكليز واحدة من أخطر لعبهم السياسية في الشرق .

اذا كان الشعب الايراني يهتف ضد الوجود الاجنبي وبالتحديد الانكليز فان «بريطانيا العظمىٰ» تعرف كيف ستتصرف بالطريقة التي توحي لكثيرين أن غياب بريطانيا يعني أن الفوضىٰ ستسود البلاد .

## مصالحة مع الحكومة

تصاعدت حدّة الاشتباكات بين مجاميع الثوّار والقوّات الحكومية وكانت عملية المطاردة تتم بسرعة فائقة لم تترك للمجاهدين فرصة لالتقاط أنفاسهم .

وتسجّل مجموعة من الوثائق عنف الاشتباكات[67] ، وتشتت مجاميع المجاهدين ، وشائعات تتحدث عن تسليم

ميرزا كوجك خان نفسه للسلطات[68] .

كما أن شهادات بعض من شهدوا تلك الحقبة المريرة تعكس عمق المحنة التي عاشها المجاهدون ؛ وهم يعانون الجوع والسهر والاجهاد وضغوط نفسية أثارها اليأس حتىٰ لم يبق مع ميرزا سوى ثمانية من رفاقه[69] .

لقد نجحت الحكومة في كسر شوكة المجاهدين عبر اساليب البطش والتنكيل بالاهالي واحراق المنازل ، ولكنها عمقت الحبّ والولاء الخالد لميرزا وثورته ؛ ففي ظلّه نعمت گيلان بفترات مزدهرة ، لقد كان ابناً باراً لوطنه وشعبه .

وقد حاول قائد قوّات القوزاق[70] في نهاية عام ١٣٣٧ وبالتحديد في ٢١ ذي الحجة منه الوقيعة بميرزا عبر دعوته الىٰ السلام وايقاف نزف الدم .

وقد جاءت رسالة القائد الروسي مليئة بالوعد والوعيد ولكنها تضمنت اعترافاً صريحاً بوطنية وايمان ميرزا ، ويلمس المرء من خلال لهجة الخطاب احتراماً عميقاً لشخص ميرزا . . . احتراماً أملته محلمة مريرة في المقاومة والجهاد الطويل .

وبعد يوم واحد سطر ميرزا كوجك بنفسه رسالة جوابية جاء فيها : «وصلت متأخراً يا ثمل[71] ، قرأت رسالتك وانني لن

اخدع بوعود حكومة مكروهة من الشعب» ، «ان وعود الانكليز للآخـرين مـقابل ابـتلاع ايـران كـلها هـي التـي تـدفعني الى الاّ استسلم . . . أن ضميري يملي عـليّ انـقاذ وطـني مـن بـراثـن الاجنبي» .

ذكرت لي : ان النظام لا يعرف حقاً وباطلاً وأنه يجب سحق المعارضين للحكومة أيّاً كانوا أمّا أنا فأقول : ان تاريخ العـالم يسمح لكل امّة بالثورة اذا ما عجزت حكومة البـلاد عـن انـقاذ الوطن .

ان الحكومة الحالية لا تفكر إلّا بمنافعها الخـاصّة حـتىٰ لو باعت البلاد في أسواق لندن بثمن بخس[72] .

ان دستور الاسلام المدوّن يوجب علىٰ المسلمين النهوض للدفاع اذا ما داهم الكفار بلاد الأسلام .

اما بريطانيا فأنها لا تعرف الاسـلام ولا العـدالة أنـها مـع قانون الأقوىٰ .

وان ما يجري في دنيا اليوم يدفعنا الىٰ اعلان الجـمهورية في ايران وانقاذ المقهورين والمعذبين من الطغمة المتسلطة .

ان المسـؤولين اليـوم لا يسـمحون بـحاكـمية الدسـتور والحكم الديمقراطي ؛ ومن هنا فان وجداني يأمرني بأن اسعىٰ في إسعاد وطني .

اني سأجيب بما يجيب موسى في ثورته علىٰ فرعون ومحمد في قيامه ضد أبي جهل وبكل ما يجيب به الأحرار في محكمة العدل الالهية .

اني أقف مع رفاقي ، كما تقف مع اتباعك في خطين متقاطعين ، وسنرىٰ هل سيضحك العالم من اجسادنا أم سيمجّد فتوحاتكم» ؟ !

ثم يذكر كوجك خان في رسالته التي صدّرها بـ«هو الحق»[73] : انه علىٰ افتراض كذب ما ورد في الرسالة يعني انني لا أعدو أن أكون فرداً ينشد الجاه ويتبع الهوىٰ ، وأنني أميل الىٰ وعودكم ، فما كان جدوىٰ ورقة حكومية ممهورة في أيدي الذين شنقوا أو سجنوا أو ابعدوا[74] ؛

«كيف تطلب مني الاستسلام بعد كل هذا الكفاح الطويل ؟ !» .

«وفي الختام لا أرىٰ قيمة للقاء من لا يعرفون شرف الكلمة» «الله بيننا وبينكم وهو الحاكم» .

كوجك جنكلي[75] .

وأعقب هذه الرسالة استمرار في الاشتباكات دون طائل ، ومالبثت ان خفت حدّتها إلىٰ أن وصلت الىٰ ما يشبه هدنة غير

معلنة .

وقد استغلت الحكومة هذه الفرصة وكلفت «أحمد آذري» باجراء مفاوضات مع ميرزا وعقد مصالحة بين الطرفين .

وقد أبدىٰ ميرزا استياءه من وثوق الدولة متسائلاً : هل يمكن لمن يعقد هكذا اتفاق (معاهدة ١٩١٩) أن يكون له الحق في تعيين مصير البلاد ؟ ! .

وقد اسفرت المفاوضات بين الطرفين في النهاية عن اتفاق لوقف العمليات الحربية ؛ لحين افتتاح مجلس الشورى الوطني ومعرفة مصير المعاهدة .

وخلال مدّة الهدنة هذه يلتزم المجاهدون بعدم التدخل في الاسراة فيما يتحمل كوجك خان مسؤليته في غابات فومن بالنيابة عن الحكومة .

وفي الثالث والعشرين من كانون الثاني ١٩٢٠ صدر بيان عن حكومة گيلان حول الاتفاق معتبراً ميرزا كوجك من رجال الوطن»[76] .

وقد سبق هذا التطور حملة دعائية حاولت الحكومة من خلالها ، التشكيك باهداف ميرزا كوجك خان وانه يسعىٰ وراء اهداف لا اسلامية ، ولذا كان الذين يناصرون الحركة في طهران وغيرها من المدن يراجعون زعماء دينيين للافتاء في

الموضوع وكان موقف الشهيد حسن المدرس حاسماً ، واعتبر المساعي المضادة للحركة الثورية بقيادة ميرزا كوجك انتصاراً للكفر وعناداً للاسلام[77] ، ويعدّ هذا الموقف الشجاع في تلك الفترة العصيبة انتصاراً للحق والحقيقة في زمن مرّ .

ولعلّ هذا الموقف الجريئ هو وراء اندفاع الحكومة فيما بعد لعقد مصالحة مع قائد الحركة مصالحة اشبه ما تكون بهدنة ووقف لحالة الحرب ولو الىٰ حين .

ولقد كان الاتفاق طعنة في الصميم توجب على كوجك خان ان يتحملها بصبر وألم دفين .

وهكذا ساد الهدوء المشوب بالحذر غابات گيلان الهدوء الذي يسبق هبوب العاصفة ، فلقد اضاء مشهد جديد غيّر من مسار الاحداث محدثاً انعطافه في تاريخ الثورة ، ليتمخض فصل مثير من فصولها الملحمية .

# الفصل الثالث

## ١٩١٩ ـ ١٩٢٠

«وما حصل في اليوم الثاني كان بداية لسياسة النفاق السوفيتية التي أصبحت قاعدة اساسية في مواقفها مع قضايا العالم الثالث . . .»

# منافقو القرن العشرين

تركت الثورة البلشفيه أصداءً مدويّة في العالم لأنها جاءت في ظروف عاصفة عالمياً ، وكانت الأدبيات البلشفية وانباء الاحداث الجارية في روسيا تناقش حتىٰ في العتبات المقدّسة في العراق مع تعاطف مع البلاشفة انطلاقاً من موقفهم من البريطانين في الشرق .

حتىٰ لقد اشيع مثلاً ان الشيرازي (محمد تقي) الزعيم الديني في ثورة العشرين قد اصدر فتوىٰ نص فيها على اعتبار البلاشفة من أصدقاء الاسلام[78] .

ومن هنا فان ما يحدث داخل روسيا كان يجد له انعكاساً في ايران خاصّة ؛ بسبب الحدود المشتركة وما يجري في ايران وموقف الانكليز من الثورة ودعمهم لاعدائها .

وفي وقت مبكر أي منذ نهايات ١٩١٧ نشأ حزب العدالة كنواة لحزب شيوعي ايراني وذلك بقيادة بيشاوري وكان في بدايته تنظيماً عمالياً .

وفي حزيران ١٩٢٠ اجتمع ممثلو حزب العدالة في ميناء انزلي على بحر قزوين واعتبروا اجتماعهم مؤتمراً تأسيسياً للحزب الشيوعي الايراني[79]، وقد جاء هذا الاجتماع كاجراء تحميلي مفروض بسبب سطوة الغزاة السوفيت الذين اجتاحوا الشمال الايراني قبل حوالي شهر من التاريخ المذكور.

ومن المؤكد ان الغزو السوفيتي جاء بعد هزائم اعداء الثورة البلشفية المدعومين بريطانياً.

علىٰ ان كثيراً من علامات الاستفهام ما تزال حتىٰ الآن قائمة حول موقف الانكليز المعقد ازاء ما يجري في روسيا.

فبينما نجد بريطانيا تساند الجنرالات المضادين للثورة البلشفية نراها تخلي مواقعها ودفاعاتها القوّية في «غازيان» شرق ميناء انزلي تاركة الجيش الاحمر السوفيتي يتقدم دون مقاومة تذكر وقد اثار موقف الانكليز المحيّر هذا ضجة في مجلس العموم البريطاني عن سرّ انسحاب ما يقرب من تسعين ألف جندي بريطاني وهندي أمام عدّة سفن حربية !! تحمل بضعة مئات من الجنود السوفيت تاركين اسلحتهم.

والحقيقة ان الانكليز قد حققوا من وراء هذه الخطوة مكاسب كبرىٰ في صياغة الوضع في ايران وغير ايران لصالحهم وبث الرعب في القلوب حول الخطر القادم:

«الشيوعية» ، ولهذا بدأ الحديث حول الدور البريطاني في حماية ايران من الخطر .

وقد تزامن مع هذا الاجراء الانكليزي الماكر ، انهيار أمني في طهران ، عندما راحت بعض العصابات تنشر الرعب بين المواطنين ، وبدت الحكومة عاجزة تماماً ، فتوفرت الظروف لخطوة انكليزية قادمة في صنع البطل القومي الذي يمكن انقاذ البلاد على يديه !

**موقف الغابة :**

كانت تلك السطور مجرّد اضاءة في المسرح السياسي من أجل تفهم موقف سيّد غابات الشمال الذي كان ولا شك ينطوي علىٰ آلامه بسبب ما يجري في ايران من اضطهاد واستبداد وقهر وانفلات أمني[80] .

كان ميرزا كوجك خان قد تسلّم رسالة مثيرة من اللجنة الثورية في مدينة لنكران على الساحل الغربي من بحر قزوين وكانت الرسالة زاخرة بكل مشاعر الثورة والعداء «للبرجوازية» الانكليزية والاستعمار ، والتضامن مع فلاحي وعمال ايران .

وهكذا يمكن القول أن تلك الرسالة كانت بداية النفاق

السوفيتي حيث تصبح الثورة مجرّد شعار أمّا ما يجري في شرايين من يرفعونها فهو دم أزرق ربّما اكثر زرقة من دماء «النبلاء» في روسيا القيصرية !

ولقد كانت ثقافة العنف أول تمخضت عنها الشيوعية الدولية كما أن صعود لينين قد حدّد ولا شك اتجاه الثورة ، كما حدّد أيضاً اخلاقيتها من خلال «مجموعة عقد ومركبات نقص»[81] كان يعاني منها القائد الروسي ، ومن خلال جذوره اليهودية النافذة في تكوينه النفسي ، واخيراً من خلال تمهيد الطريق لخليفته «ستالين» الذي لا تحتاج شخصيته الدموية الىٰ توضيح .

وخلاصة القول ان الشيوعية السوفيتية قد واجهت تحدّيات واختبار لمحتواها الاخلاقي ، استجابت لها في حالة مروّعة من النفاق الدولي في الخارج وقسوة لا حدود لها في الداخل .

وربما كان من المقدّر لگيلان علىٰ الاقلّ ان يكون مصيرها كمصير القفقار[82] لو لم يكن لحضور كوچك خان بتلك الكثافة . . . ذلك الحضور الاخلاقي الذي مكن صاحبه من ولوج الضمير الايراني فيما بعد .

وخلال الفترة التي شهدت اندلاع الحرب الكونية الأولىٰ

وحتىٰ نهاية مؤتمرات الصلح ، لعب البريطانيون الدور الأول في السياسة الدولية ، وفي صياغة منطقة الشرق الأوسط بكل مشكلاته وبؤر التوتر في داخله .

بل وكانت بريطانيا تمثل في كثير من الاحيان ركناً أساسياً في مسار الاحداث في كل من العراق ، الحجاز ، فلسطين ، تركيا ، افغناستان وايران .

ولقد كانت للانكليز برامجهم وخططهم في ما يحض مستقبل العالم بعد نهاية الحرب ، إلّا أن انفجار الثورة البلشفية في غمرة الحرب الأولىٰ جاء مربكاً للانكليز ولكن الاتجاه الثوري الذي سيطر اخيراً مكن البريطانيين من احتواء «الخطر الشيوعي» بل والأفادة منه بعد تهويله ، وبالتالي صياغة منطقة مترامية الاطراف بالطريقة التي تمكن من بسط النفوذ فيها[83] .

وفي كل الاحوال فانّ الاضاءات الجديدة التي حدثت في مسرح الاحداث شمال ايران قد انعكست ظلالها بشكل مثير وسريع مبلوراً الأوضاع والمواقف ومسار الاحداث في الشمال الايراني . . . بشكل معقد ومربك في اغلب الاحيان .

وقد بدأت اضاءات الحدث الروسي كما يلي .

## رسالة من لنكران :

في غمرة ذلك الألم وصلت ميرزا كوجك رسالة من آذربيجان . . من لنكران إحدىٰ مدن الجمهورية الجديدة . . كانت الرسالة مشحونة بالغضب ضد الاستعمار والجرائم الانكليزية :

«اننا وانطلاقاً من اخوتنا نشعر بالألم لما يجري علىٰ الايرانيين . . لقد قضينا علىٰ اعدائنا أولئك الخونة ولهذا تأخرنا في تقديم الدعم اليكم . . وها نحن علىٰ اتم الاستعداد لنجدتكم ما طلبتم ذلك . .

نقدم اليكم نوط : «ر . س . ف . س . ر» مع مسدس «رولور» تعبيراً عن عميق حبنا واحترامنا»[84] .

ولا شك ان الرسالة التي تسلّمها كوجك خان من لجنة «لنكران» قد بعثت في قلبه الأمل . . الأمل بانتصاره علىٰ عدوّه المدجج بالسلاح والغدر .

ولقد قلّب ميرزا الأمور فلم يجد سوىٰ أن يغامر بنفسه متحملاً جميع المخاطر للاطلاع علىٰ الحقائق عن كثب .

من أجل هذا قام ميرزا برحلة سرّية مع اثنين من رفاقه هما في الحقيقة سيكونا دليليه في الطريق المحفوفة بالاخطار .

قام ميرزا بارتداء زي آخر ، ولقد كان على الثلاثة أن

يقطعوا الطريق مشياً على الأقدام حتى لا يثيروا الشكوك خلال الطريق عبر الغابات .

ومضت الأمور بشكل عادي في اليومين الأولين وفي اليوم الثالث نفدت مؤونتهما من الطعام فاضطر أحد الدليلين للذهاب الى السوق لاحضار قدر من الخبز والماء ومن سوء الحظ تعرّفت الشرطة على هوّيته فالقي القبض عليه .

واذا بمجموعة من الفرسان تقتحم على ميرزا ورفيقه المكان ولكن ميرزا عالج الأمور بحكمة عندما اقنع المهاجمين بانه سيترك المنطقة باسرع وقت اضافة الى مكافأة مالية تسلموها مغتبطين دون أن يعرفوا هوّية الرجل الذي يحدّثهم مكتفين بواحد من الثلاثة .

وبالرغم من تشديد «أمير مقدر» في القبض عليهما بعد تسلمة تقرير القاء القبض على أحد المجاهدين ، ولكن طلعات البحث قد اخفقت واختفى ميرزا لكأنما ابتلعته الغابة !

وقد انهكت الرحلة ميرزا ورفيقه وساءت حالته ، وذات ليلة تدهورت صحته وغاب عن الوعي وعمد رفيقه فدثره بـ«بطانية» تاركاً ايّاه في منعطفات الطريق .

ولقد أفاق كوجك خان من الاغماء ليجد نفسه وحيداً حائراً لا يدري ماذا يفعل ، وليس في وجوده سوى بقيا حياة لا تمدّه

إلّا بخطى معدودة ، لقد خارت قواه تماماً ولم تعد له قدرة علىٰ صدّ ضباع الغابة أو ذئاب الحكومة .

فنظر الىٰ السماء وراح يجرجر خطاه نحو مصير مجهول ؛ ولقد مكنته إرادته الفولاذية ان يقطع مسافة ميل واحد في يوم كامل ؛ ليصل الىٰ مقهى يقدّم الخبز والشاي للمسافرين عبر الغابات .

دلف ميرزا المقهىٰ وبدا كأنه أحد الدراويش الذين يهتفون من اعماق قلوبهم : «هو الحق» وهي ذات الجملة التي يصدّر فيها ميرزا رسائله !

غير أن صاحب المقهىٰ راح يتفرس في وجه الرجل الغريب الذي يكاد ينهار من فرط الارهاق ، وكادت الأمور أن تمضي بشكل عابر ، ولولا ان صاحب المقهىٰ وجد نفسه امام وجه رآه في حلم أقض مضجعه ذت ليلة .

قال صاحب المقهىٰ : رأيت رجلاً نورانياً يأمرني بمساعدة رجل واقف ازائي يقف في ذات المكان الذي تقف فيه . . والآن أخبرني من تكون . . من جاء بك الىٰ هذه الاطراف .

ويعلن ميرزا هويته بصراحة فاذا بالرجل ينهار عند قدمي قائد الغابة وبعد أن قدّم له الطعام سأله عن أخيه الذي يحارب

في ركابه فاخبره باستشهاده في المعارك الاخيرة ؛ أجل لقد استشهد محمود استارائي ، في معركة «سياهرود» يرحمه الله لقد كان رجلاً شجاعاً .

وهكذا وجد ميرزا أن السماء لم تتخلّ عنه فبعثت في طريقه من يساعده ليوصله الىٰ لنكران ، وقبل أن يصل قائد الغابة المدينة سمع بانباء مثيرة تفيد بمغادرة الجيش الاحمر لنكران . فعاد القائد ادراجه من حيث أتىٰ !

## الاجتياح الاحمر :

في ١٨ آيار احتل الجيش الاحمر شواطىء «غازيان» بعد قصف مدفعي ليزحف باتجاه ميناء انزلي ، وانسجت الجيوش الانكليزية التي تعدّ بعشرات الألوف أم بضع مئات من الجنود السوفيت .

ولعب الانكليز امهر لعبهم السياسية عندما بدأوا العزف علىٰ الخطر السوفيتي القادم .

ولكن ما يثير الدهشة والتساؤل تلك الفاصلة في التبرير بين رسالة لنكران والتفسير الرسمي للغزو الروسي[85] .

فالرسالة تعرض استعداد «الأخوة» في اذربيجان لتقديم العون لاخوانهم في ايران وآنهاتنتظر «الاستغاثة» وطلب

النجدة فقط .

وما وقع بشكل مثير أن الجيش الاحمر لم ينتظر ردّاً من قائد الغابة ، بل اتخذ قراراً بالغزو من غير مشورة ولا موافقة مصطحباً معه بعض الشيوعين الايرانيين وفي طليعتهم «بيشاوري» زعيم حزب العدالة الذي سعىٰ وبعد اربعة اشهر في عقد مؤتمر في انزلي معتبرين هذا الاجتماع بداية التأسيس للحزب الشيوعي الايراني[86] !

وهكذا نجح الانكليز في اشاعة الخوف داخل ايران من الخطر القادم . لقد نجحت اللعبة : ان غياب الانكليز معناه الفوضىٰ والقلق وانعدام الأمن .

وأظهرت بريطانيا نفسها بصورة المنقذ ، وعادت معاهدة ١٩١٩ لتنفذ بدقة ولو بشكل غير رسمي . لقد سقطت الضحية في الفخ . . سقطت التفاحة في قبضة الانكليز .

استقبلت ايران الاجتياح السوفيتي بذهول وترقب ، بالرغم من الاحتجاج الرسمي للحكومة الايرانية .

اما الانكليز فتظاهروا بمشاركة الحكومة اهتمامها بالموضوع وتبنيهم الىٰ حدٍّ ما المسألة بعد لجوء الحكومة وطلبها من الانكليز الابقاء علىٰ قوّاتهم ، فتحقق هدف بريطانيا في معاهدة ١٩١٩ الانكلوايرانية .

وكان من البديهي أن يترك الحدث اصداءً في الغابة ؛ فاجتمع ميرزا مع رموز الجهاد في الغابة ، وتقرر أن يذهب ميرزا بنفسه الىٰ ميناء أنزلي ، ليطلع عن كثب عن أهداف السوفيت فنهض وهو يتمتم بآية طبعت مساره في السنوات الأخيرة : ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ .

كان ميرزا يعيش هواجس المستقبل ولم يكن مطمئناً لنوايا الروس حتى بعد الثورة .

وسنرىٰ كوجك خان فيما بعد يعيش حالة الحذر ، فكل علاقة للحركة ستكون داخل اطار اتفاقية رسمية تأخذ بنظر الاعتبار استقلال ايران تماماً عن أيّة وصاية اجنبية مهما كانت المبرّرات .

كان ميرزا كثائر لا يرى الخلاص من الانكليز باللجوء الىٰ اجنبي آخر . . .

ومما يدعو الىٰ اجلال هذا الرجل الذي ذرّف علىٰ الاربعين هو ثباته علىٰ المبادىء بالرغم من عصف الخطوب وتقلبات الايام وغدر الرفاق .

وقد اكتشف كوجك خان حقيقة الثوّار الشيوعيين وأنهم لم ولن يصبحوا ثوّاراً حقيقيين إذ وصفهم بالمنافقين ، وهذا الوصف بطبيعة الحال اطلقه الثائر علىٰ شيوعي جمهورية

آذربيجان ، وكان ميرزا يظن الىٰ حدٍّ ما أن موسكون غائبة عن الاحداث وأن لينين قد لا يراقب ما يقوم بـه الرفـاق فـي شـمال ايران المرتبطين مع حكومة باكو .

**لقاء في انزلي . . حربة النفاق الدولي**

بالرغم من ان ميرزا بعث من ينوب عنه في لقاء رموز السوفيت في انزلي إلّا أن اصراراً من الطرف الآخر على لقاء الزعيم الثائر لم يترك وقتاً للتفكير اكثر .

فانطلق مـيرزا الىٰ انـزلي المـيناء الايـرانـي المـحتل للـقاء الروس القادمين لاهداف غير واضحة تماماً .

ومنذ اللقاء اكتشف زعيم الغابة أنه لا يـختلف مـع القـادة الحمر بل ويتناقض معهم .

وكان الاستقبال الشعبي في انزلي قد كشف الى حدٍّ كـبير عمق الحبّ والولاء الذي يضمره النـاس لمـيرزا الذي بـدد فـي حـضوره حـالة الخـوف التـي بـعثها الحـضور العسكـري الروسي ، وما يرد من انباء حول ما يجري في القفقاز .

ووجد ميرزا نفسه أمام قادة البلاشقة وبعض الشيوعيين الايرانيين .

ويمكن أن نسجل ان اللقاء قد ترك آثاراً ظـهرت فـيما بـعد

ولعلّ ميرزا كان يتفحص مفاوضيه حول آفاق الثورة في المستقبل .

كان يشعر بالغربة بين هؤلاء . . ذلك ان ميرزا وبطبيعة تكوينه الفطري وتربيته الدينية ومبادئه التي آمن بها لا يلتقي مع هؤلاء الذين ينظرون الىٰ الدين كميراث قديم و . . .

لم ير ميرزا سوى شخص واحد كان يحمل في اعماقه همّاً انسانياً ذلك هو غافك[87] الذي سمّىٰ نفسه «هوشنگ»[88] وهو اسم من صميم الثقافة الايرانية .

وقد حمل اللقاء الأول بكل تناقضاته بذرة الاخفاق ، ولم يسفر عن نتيجة ، وانفض الاجتماع وفي قلب ميرزا حذر من هؤلاء الثوّار . . . حذر سوف يجعله لا يطمئن الىٰ تعاون مالم يحرّر في اطار ميثاق أو معاهدة رسمية .

وما حصل في اليوم الثاني كان بداية لسياسة النفاق السوفيتية التي اصبحت قاعدة أساسية في مواقفها من قضايا العالم الثالث الذي ما يزال آنذاك رازحاً تحت هيمنة الاستعمار الثلاثي[89] .

لقد وصل «ارژنيكيدزه» وهو مسؤول كبير في القفقاز ومعه سفينة مشحونة بالاسلحة ، وليشترك في مفاوضات اليوم التالي ؛ فوقف خطيباً في رفاقه الروس :

ـ ايها الرفاق ان الحق مع هذا الرجل ! إنّني أؤيد آراءه بلا نقاش ! وانني اطلب منكم تأييده !

وبهذا الموقف قطع «ارژنيكيدزه» المفاوضات لصالح كوجك خان .

وكانت خطوة غاية في الذكاء : من الممكن التظاهر بتأييده فعلاً ريثما يتم ترويضه أو . . . !

وخلال صياغة ميثاق التعاون أظهر كوجك حزماً وتعامل مع مفاوضيه متحملاً مسؤولية شعب كامل ومصير أمّة . وجاء في الاتفاق :

- عدم تنفيذ برنامج الشيوعية أو الدعاية لها .
- الاعلان عن تأسيس جمهورية ثورية موقتة .
- يكون انتخاب شكل النظام بعد تحرير طهران ، وتشكيل مجلس تأسيسي يتم انتخابه من قبل الشعب .
- يمتنع السوفيت عن تعزيز قوّاتهم والاكتفاء بالقوّة الفعلية ( ٢٠٠٠ جندي ) .
- تتحمل حكومة الجمورية الانفاق على القوّة العسكرية .
- تدفع حكومة الجمهورية كل مبالغ الاسلحة المطلوبة .

- الافراج عن السلع المضبوطة في باكو والتي تعود ملكيتها الىٰ ايران .
- تخويل حكومة الجمهورية ادارة كل المؤسسات الروسية في ايران[90] .

وبعد هذا الاتفاق قفل كوجك خان عائداً الىٰ الغابة والانتقال الىٰ مرحلة التنفيذ .

ان النقاط أعلاه تؤكد النظرة البعيدة لقائد الغابة وحذره في التعامل مع جارة ايران في الشمال ؛ فجاء الاتفاق متوازناً وضع فيه كوجك خان السدود أمام أي تدخل وتحت أية ذريعة في شؤون البلاد ؛ كما صان بموجب هذا الاتفاق أمن گيلان من العبث الشيوعي المدعوم بقوّة الحديد والنار والمدافع .

فالشيوعيون كانوا متحفزين لتنفيذ برامجهم بنفس الطريقة التي نفذت في القفقاز والتي حاولوا اعادتها في گيلان بعد الانقلاب الاحمر الذي سيحدث فيما بعد .

## ميلاد الجمهورية :

وفي فجر ١٦ رمضان ١٣٣٨ وصل ميرزا كوجك خان رشت واستقبل خارج المدينة استقبالاً شعبياً واسعاً حيث قام الأهالي بنثر الورود ، واطلاق الاهازيج .

والقىٰ ميرزا كوجك خطاباً حماسياً ذكر فيه انتصار الحق على الباطل وهزيمة الشيطان امام جند الله ، أما «احسان الله خان» فقد تحدّث عن فداء وتضحيات المجاهدين وحيّا أرواح شهداء الحرّية وقطع العهد بتهديم قصور الظلم علىٰ ساكنيها .

وكان يوماً تاريخياً سجلته ذاكرة الجيل[91] .

وبعد يومين أي في ١٨ رمضان صدر بيان رسمي يعلن الغاء الحكم الملكي وقيام الجمهورية وقد تصدرت البيان كلمة لها مدلولها وهي : «هو الحق» التي تجسّد نفوذ ميرزا في صياغة البيان خاصّة وأنه كان يصدّر رسائله دائماً بهذه العبارة .

وقد جاء في البيان الذي استعرض كفاح الشعب الايراني وجهاده ضد الاستعمار تأكيد حكومة الجمهورية في حماية أرواح وأموال عموم الأهالي .

كما وردت نقطة جوهرية وهي الغاء جميع المعاهدات التي تضرّ بايران قديماً وحديثاً .

كما أن حكومة الجمهورية تعلن أن جميع البشر سواسية في الحقوق ، وأن رعاية الموازين الاسلامية في طليعة الواجبات .

وفور الانتهاء من تلاوة البيان توجهت الحشود يتقدمها

كوجك خان الىٰ ضريح المجاهد الشهيد الدكتور حشمت لقراءة الفاتحة .

والقىٰ ميرزا كلمته فجاء صوته مختنقاً بعبرته هاجم فيها وثوق الدولة وخيانة عبيد الاجنبي ، وهاجم المعاهدة المذلّة ، وعدّ استشهاد الدكتور حشمت خسارة كبرىٰ «قصمت ظهورنا وما تزال» ودعا الله التوفيق للأخذ بثأر الشهيد والاقتصاص من جلاّديه .

ومرّة أخرىٰ تحدّث احسان الله خان فحيّا أرواح الشهداء وهاجم الانكليز وطالب بتدمير مراكز الفساد وعملاء الاجنبي واللصوص .

ثم ختم كلمته الملتهبة بأن حيّا لينين قائد الثورة الحمراء وهتف عالياً «يحيا جيش الثورة» !

وفي غضون فترة وجيزة تشكلت لجان بمثابة وزارات لادارة گيلان .

أما لجنة القيادة فقد ضمت «كاجنيف» قائد القوّات السوفيتية في ايران وكامران آغايوف عضو حزب العدالة واحسان الله خان و «غافك» ، و «مير صالح مظفر زاده» ، وحسن آلياني المعروف بـ«معين الرعايا» .

وكان ميرزا كوجك خان قائداً عاماً ورئيساً للجنة القيادة

واللجان الأخرىٰ[92].

## تيار النفاق الشيوعي :

وعندما أحكمت الثورة قدرتها في مدينة رشت كان علىٰ قوّات القوزاق أن يكونوا جيشاً في خدمة الحكم الجديد . والذي حصل ان قائد القوّات لم ولن يعترف بحكومة الثورة فزحف المجاهدون واطبقوا الحصار علىٰ المعسكر بعد أن اخفقت الوسائل السلمية والمفاوضات وحدثت اشتباكات عنيفة بدأت منذ سحر ٢٨ رمضان ١٣٣٨ .

وانتهت المقاومة باقتحام المعسكر واستسلام الضباط الذين القي القبض عليهم .

وقد ظهرت نعرة تطالب بمحاكمتهم جميعاً وهي نعرة ولا شك شيوعية رفضها ميرزا الذي قرّر اطلاق سراح الجميع ومنحهم نفقات العودة الىٰ أهليهم .

كان الشيوعيون يعملون في الخفاء من أجل تعزيز مواقعهم وفي تلك الفترة ظهرت الصحف الشيوعية من قبيل «إيران سرخ» و «كامونيست» .

وبالرغم من ان كاجنيف لم يكن متحمساً للنشاط الشيوعي بعكس «ابوكوف» الذي ينحدر من أسرة تترية .

وقد استدعي كاجنيف الىٰ موسكو مخلياً مكانه الىٰ ابوكوف الشيوعي حتى النخاع ، وبهذا تهيّأت أجواء مناسبة للشيوعين الايرانيين للعمل كيف ما يشاؤون .

وقد حاول كوجك خان الوقف بوجه المدّ الشيوعي الذي ساعد علىٰ توسعه الانتشار العسكري ، والتحاق المئات والآلاف بالقوّة العسكرية لحركة الغابة والتي كانت تميل الىٰ من يمنحها صلاحيات أوسع .

ونجد هنا القوّة الكردية بقيادة «خالو قربان» تحقق بعض التقدم العسكري .

ولا شك ان الحضور السوفيتي كان يشكل عمقاً استراتيجياً للمدّ الشيوعي الذي بدأ يبشر بافكاره وبرامجه علناً وهكذا بدأ حزب العدالة الذي تأسس في باكو يروّج لافكاره ضارباً عرض الجدار الاتفاق الذي يمنع الدعاية الشيوعية في گيلان .

وقد حاول قائد الغابة أن يطوق الخطر من خلال تذكير القيادة في باكو باضرار الدعاية التي يقوم بها حزب العدالة ، فبعث من أجل ذلك وفداً ولكن كلمات كوجك خان لم تلق آذاناً صاغية ، واصبحت المذكرات والاحتجاجات طرقاً على حديد بارد[93] .

وهكذا وصلت الأمور الىٰ نقطة الانفجار ، كان الشيوعيون في حزب العدالة يعّدون العدّة لانقلاب دموي يزيح كوجك خان عن الطريق .

## الانقلاب الاحمر :

كانت السماء مشحونة بالغيوم وبدت الاشياء باهتة بلا ظلال ، وكان الناس حيارىٰ ذلك الصباح الغائم لكأنهم يبحثون عن ظلال لهم فوق الارض الموحلة بسبب أمطار غزيرة .

في يوم ٢٢ شوال ٩ تموز ١٩٢٠ غادر كوجك خان رشت عائداً الىٰ الغابة احتجاجاً على ما يجري في رشت من تجاوزات يقوم بها اعضاء حزب العدالة[94] .

وكانت القياده السوفيتية في موسكو تلعب دورها من وراء ستار وكان استدعاء كاجنيف الىٰ موسكو ودعوة «ارژونيكيده» وهما ابرز المؤيدين لسياسة كوجك خان يعدّ انتصاراً لحزب العدالة الذي راح يمضي قدماً نحو تفجير الموقف .

وفي ٢٤ شوال أي بعد أسبوع واحد من خطوة كوجك خان الاحتجاجية بدأ حزب العدالة عمليته الانقلابة باعتقال جميع انصار كوجك خان في كل مكان .

وكانت الخطة تقضي بالقاء القبض على كوجك خان نفسه أو تصفيته ، وبالتالي الامساك بزمام الأمور .

وهذا ما يؤكد أن كوجك خان كان يراقب ما يجري بحذر وكان يشعر بأن الأفق مشحون بالمؤامرة ففضّل العودة الىٰ الغابة وتفويت الفرصة علىٰ المنافقين .

ومن خلال التشكيلة القيادية الجديدة نكتشف تورّط رفاق ميرزا الذين كانوا يظهرون له التأييد ويبطنون له الحقد :

فقد احتل «احسان الله خان» موقع كوجك خان القيادي ، فيما اصبح خالو قربان بلجنة الحرب ، واصبح «بيشاورى» رئيساً للجنة الداخلية .

كان الروس يؤيدون الحركة الانقلابية البلشفية بل كانوا هم المخططين لها ، حيث برز أبو كوف القائد العام للقوّات السوفيتية في ايران ويكشف البرنامج الحكومي الجديد عن نوايا أكيدة لتنفيذ الخطط الشيوعية في ايران :

- يكون نظام الجيش الايراني شبيهاً بما هو عليه في الجيش الاحمر والاعداد للهجوم على طهران .
- الغاء الملكية الشخصية .

وقد اسفر الانقلاب العسكري عما يلي :

- فشل الهجوم العسكري على اقليم «مازندران» الذي

اسفر عن خسائر جسيمة .

- ❑ انسحاب من جبهة منجيل ، وانسحاب من جبهة قزوين .
- ❑ استيلاء القوّات الحكومية (القوزاق) على كل مازندران .
- ❑ احتراق «بازار» رشت والذي اسفر عن خسائر كبيرة .
- ❑ قيام الانقلابيين بحفر القبور وتهديد الأهالي بدفع المال وإلّا دفنوا احياء !

وقد حاول الانقلابيون القضاء على كوجك خان بالهجوم على الغابة مما اضطر الاخير الى الانسحاب الى مناطق وعرة والاحتماء بها تفادياً للاصطدام مع ابناء الوطن .

**مؤتمر الشرق :**

وفي أيلول ١٩٢٠ بدأ مؤتمر الشرق اعماله في باكو عاصمة اذربيجان . وحضرته وفود من انحاء عديدة من العالم .

مثّلت گيلان عناصر انقلابيه في طليعتها بيشاورى زعيم حزب العدالة الشيوعي ، وكان بين الذين حضروا المؤتمر

«حيدر عمو أوغلي» الذي دفع به السوفيت للاطاحة بميرزا كوجك في محاولة أخرىٰ ، وكذلك أنور باشا القائد العام للقوّات العثمانية ووزير الحرب الذي فرّ من تركيا بعد سقوط العاصمة العثمانية اسطنبول واستسلام الامبراطورية .

وافتتح «نريمانوف» الرئيس الاذربيجاني المؤتمر الذي هاجم الرأسمالية الدولية ! اعقبه تروتسكي الذي انحىٰ باللائمة على الثورة الفرنسية الكبرىٰ لأنها أخطأت بحصر الثورة في باريس ، ولم تشرك الفلاحين القوّة الكبرىٰ وأنها تركت الجيش الفرنسي بكامل اسلحته ولم تنزع سلاحه فكان لها بالمرصاد ، ولذا فان على وفود الشرق أن تنتبه في المستقبل فلا تتكرر هذه الاخطاء[95] !

ومن المثير أن «أنور باشا» القائد السابق للجيوش العثمانية مُنع من القاء كلمته بسبب مخاوف روسية وربما لقناعات تخالف أهداف الشيوعية الدولية[96] .

## عاصفة الاحداث :

حاول ميرزا أن يوصل صوته الىٰ مؤتمر الشرق فأرسل وفداً يذكر رئيس المؤتمر بان الانقلابيين لا يمثلون ايران باي حال من الاحوال .

وكان ممثل كوجك خان رفيقه الوفي غافك اضافة الىٰ «مطفر زاده» .

وكانا يحملان معهما رسالة كوجك خان الىٰ لينين .

وهي رسالة هامّة جدّاً تحدّد بوضوح شخصية الثائر الايراني وصلابته ووعيه .

وقد ورد في الرسالة اشارات جديرة بالذكر في طليعتها .

- تاريخ ثورة الغابة الذي يمتد الىٰ ١٥ سنة .
- تأكيده علىٰ رفض الشعب الايراني للفكر البلشفي .
- اشارته الىٰ تجاوزات القيادة الاذربيجانية .
- انتهاكات الزعامات السوفيتة للاتفاق الموقع في انزلي والدعاية للشيوعية ، التي اثرت سلباً علىٰ وضع الثورة في ايران والتأييد الشعبي لها .
- التدخل الاجنبي الروسي في الشؤون الداخلية والذي يصطدم مع أهداف الثورة في مكافحة كل اشكال التدخل الاجنبي «فقبل أن نوفق في انهاء تدخل دولة اجنبية[97] بدأت دولة أجنبية[98] أخرىٰ تدخلها في شؤون ايران .

وفي الرسالة أكد كوجك خان انه لن يتخلىٰ عن قراره في العودة الىٰ الغابة[99] .

كان كوجك خان يعتقد أن قيادة موسكو في غفلة عن

تصرفات القيادة الاذربيجانية .

وكان الردّ السوفيتي ان القيادة السوفيتة تؤجّل الجواب النهائي الىٰ المستقبل وأن الموضوع لا يحوز اهمّية قصوىٰ [100] !

وفي تلك الفترة العاصفة كان «مشير الدولة» يسعىٰ للتفاهم مع المجاهدين ، ولكن كوجك خان لم يكن متحمساً بسبب اعتقاده بان الحكومة الجديدة غير جديرة بالثقة سيما وأنها قد اظهرت جلد النمر تجاه الشيخ محمد خياباني ؛ الذي يقود هو الآخر حركة مسلّحة ضد الفساد الحكومي والتدخل الانكليزي .

وقد حاول خياباني ممثل تبريز في المجلس الشورىٰ الوطني التنسيق مع ثوار الغابة بقيادة كوجك خان ، والاطاحة بالحكومة العميلة واقامة نظام وطني . ارسل مبعوثه الىٰ قائد المجاهدين في الغابة ولكن الأخير كان يمرّ في ظروف حرجة خاصّة بعد الانقلاب الاحمر الذي اضطره الىٰ الانسحاب وإخلاء قواعده في غابات «فومن» .

ويشاء القدر أن يصاب ممثل خياباني بمرض مفاجيء فتدهورت صحته .

ولم تلبث تلك الشعلة الثورية في تبريز أن انطفأت بعد زحف القوّات الحكومية بأمر من مشير الدولة حيث لقي الشيخ

خيابانى مصرعة في الاشتباكات .

وقد هزّت هذه الفاجعة قلب كوجك خان وملأته حزناً ، ولو قدّر للطرفين التنسيق في المقاومة وتوحيد قواتهما في مجابهة العدوّ المشترك لتغيرّ مسار التاريخ في ايران ولكن . .

كان ميرزا الذي يتلقىٰ الطعنات من كل صوب ينطوي علىٰ آلام لا تطاق . . آلام الانسان المقهور الذي ينؤ بحمل أمانة ثقيلة أمانة الاخلاص للوطن والمبادىء .

وفي ذلك الزمن المرّ حيث حطمت الشيوعية الدولية مقدسات الانسان ؛ لم يبق أمام الثائر الانسان إلّا أن يقود انصاره وجنوده في انسحاب الىٰ قلب الغابات حيث لا يمكن للطغاة والمنافقين الوصول اليه .

تبادل كوجك خان رسائل مع شخصية روسية وصلت بعد الانقلاب الاحمر حاول كوجك خان خلالها أن يوضح للمسؤول الروسي (مديفاني) ما يجري علىٰ أيدي الانقلابيين من مآسي .

غير أن (مديفاني) كانت له أحكامه الخاصة فحاول إثارة الغبار حول كثير من الحقائق بل والتمادي بتوجيه اتهمات باطلة الىٰ كوجك خان هو بريء منها .

ومع كل هذا فقد نصح كوجك خان الطغمة التي تحكم

گيلان أن يدعوه وأنصاره في بقعة من الغابة وأن يتوجهوا الىٰ اداء (رسالتهم) ومواجهةالعدو الحقيقي ومراعاة أهالي گيلان المقهورين وعدم الاساءة الىٰ الناس البسطاء .

فسرت رسالة كوچك خان ودعوته بانها هزيمة وتخاذلاً وضعفاً ؛ وقد وصلت الأمور أن بعض قادة المجاميع المجاهدة لم يرتضوا هذا الاسلوب في معالجة طغيان الانقلابيين وقرّروا المواجهة .

أمّا الطغمة الشيوعية فقد فكرت باجتياح الغابة والقضاء على قلب الثورة نهائياً وعندها سيصفون الجوّ لهم .

وهكذا تدفقت القوّات الانقلابية باتجاه المنطقة التي يتمركز فيها المجاهدون ، ومن الطبيعي أن يخسر المجاهدون جولات في المعارك الطاحنة بسبب التفوق في نيران المدافع التي كانت تدك خنادق المجاهدين .

وبسبب سقوط الشهداء وبينهم رموز معروفة بالشجاعة والتديّن والاخلاص ، أخذت الاشتبكات تأخذ اطاراً في الاستبسال والاندفاع نحو الشهادة؛ الأمر الذي قلب الحسابات العسكرية رأساً على عقب فانتهت المعارك بانتصار ساحق للمجاهدين وهزيمة ذريعة للقوّات الانقلابية التي راحت تمعن في الانسحاب الىٰ ما وراء قرية «بسيخان» .

## لينين يصافح الانكليز :

خفت الصراع بين (الثوريين) الروس و (البرجوازية الانكليزية) ، وصدرت التعليمات الخاصّة بهذه السياسة الجديدة الىٰ ذيولها في ايران .

ومن المؤكد انه لا يوجد في مبادىء روسيا اللينينية ما يبرر الخطوة الروسية الجديدة التي جاءت مفاجئة ومحيّرة .

وسوف يكشف قرار لينين بالتفاهم مع الانكليز بدء النفاق السوفيتي الذي سيأخذ اشكالاً معقدة خاصّة في عهد استالين ، حيث اصبحت الشيوعية مجرّد شعار ووسيلة للقمع والتوسّع وقهر الشعوب .

وبدأت اشارات التفاهم الانكليزي السوفيتي تظهر هنا وهناك .

فقد سافر وفد اقتصاري سوفيتي الىٰ لندن ليبحث قضايا السلام بين الطرفين ، ومن المؤكد أن الوفد لم يبحث الجوانب الاقتصادية بقدر ما بحث الجوانب العالقة والمسائل المعقدة خاصّة في ايران ، حيث يقف الفريقان وجهاً لوجه في گيلان ومازندران وكان أول مؤشر على التفاهم هو لقاء[101] عملاء انكليز واجتماعهم مع رضا خان ميربنج قائد فوج القوزاق واقناعه ـ

بوسيلة المال والسلاح ـ بالهجوم علىٰ طهران واحتلالها وفي منتصف ليلة ١٩ شباط ١٩٢٠ تحركت فرقة القوزاق المؤلفة من ٣٠٠ محارب واحتلت طهران .

وكان رضا خان قد التقىٰ ضياء الدين مدير جريدة (الرعد) خارج طهران ، والاخير معروف بعمالته للانكليز والذي سخر جريدته للدفاع عن المصالح البريطانية في ايران[102] وتزامن مع اعلان حكومة عسكرية ؛ توقيع اتفاق في موسكو بين ايران والاتحاد السوفيتي وذلك في ٢٦ شباط ١٩٢١[103] .

وقد تضمن الاتفاق قطع المساعدات العسكرية للثوّار في ايران ، وكما تضمن الاتفاق الغاء الاعتراف بالجمهورية الايرانية التي أعلنها كوجك خان ، واعتبار الثوّار مجرّد مجموعة من المتمرّدين والعصاة .

ولقد جاء الاتفاق ضربة قاصمة للشيوعيين خاصّة الايرانيين .

ولهذا اقدمت باكو على اجراء مصالحة سريعة بين احسان الله خان وكوجك خان بعد أن أعلن الأول عن ندمه العميق هو وخالوقربان ورغبتهما بالالتحاق بكوجك خان .

وفي هذه الخطوة دفعت اذربيجان بـ«حيدر عمو أوغلي»[104]

ليكون عضواً في القيادة الجديدة ، فوصل ميناء انزلي مع سفينة مشحونة بالسلاح .

وكانت فيما يبدو مؤامرة خطط لها الشيوعيون مرّة أخرىٰ منتهزين حراجة الموقف في گيلان .

وبدا الموقف السوفيتي ازدواجياً ، فموسكو تغازل لندن وباكو تخطط لإسقاط الحكومة الانكليزية في طهران .

وفيما كان السفير السوفيتي يقدّم تعهداً لحكومة طهران بتصفية المسألة الگيلانية ، كان «حيدر عمو أوغلي» الشيوعي المنافق يخطط للاطاحة بكوچك خان والاتجاه بالثورة ! الىٰ متاهات الشيوعية الدولية[105] .

ولقد أثارت نشاطات «حيدر عمو أوغلي» المشبوهة القلق في اوساط المؤيدين لثورة الغابة في طهران ، خاصّة أعضاء «هيئت اتحاد اسلام» والشهيد حسن المدرس ، الذين أبرقوا الىٰ الغابة :

«أن علىٰ «حيدر عمو أوغلي» أن يعمل وفق تعهده السابق[106] وأن يكون تابعاً لقرارات اللجنة بقيادة كوچك خان وإلّا فليأخذ طريقه الىٰ روسيا»[107] .

ولقد كانت محنة كوچك خان مع هذا الشيوعي قد وصلت

ذروتها حتىٰ لقد كتب حسن المدرس الىٰ كوچك خان أن يغادر الغابة والعودة الىٰ طهران اذا لم يوفق في اعادة أوغلي الىٰ جادّة الصواب .

بـل عـزم بـعض الزعـماء الوطـنيين التـوجه الىٰ الغـابة والاجتماع بالطرفين حول هذا الموضوع[108] .

# الفصل الرابع

## ١٩٢٠ ـ ١٩٢١

وفي الفترة التي كانت الادارة الانكليزية تصوغ (البطل التركي) في الحرب مع اليونان ؛ كانت قد عثرت على ضالتها في ايران . . .»

# مصرع ثورة

يبدو من خلال قراءة في تاريخ الثورة وأفكار كوجك خان ان قائد الثورة كان يؤمن بالانسان . . . الانسان كفطرة وثورة .

من أجل هذا كانت فرص الامتحان لمن يريد أن يصوغ نفسه في ضوء المبادىء . .

ولقد كان خالو قربان نكرة عندما التحق بصفوف الثوّار ولكنه لم يلبث أن أصبح شخصية لها حسابها بعد أن أبدىٰ شجاعة واستبسالاً في القتال ثم اصبح فيما بعد على رأس القوّة الكردية التي كانت تقاتل ضمن كتائب المجاهدين .

ومن المؤسف أن الانسان وبالرغم من ايمان ميرزا العظيم به يجنح ولا شك الىٰ وساوس كامنة في الاعماق فيصرف الىٰ تعزيز مواقعة الذاتية التي تصطدم غالباً مع أهداف عليا .

ومن هنا نرىٰ قطار الثورة وهو يسير حثيثاً باتجاه هدفه ،

يتوقف في محطّات عديدة يعالج فيها أزمة اولئك الذين لا يريدون للقطار أن يواصل طريقه المنشود .

ثم تأخذ المحنة شكلاً مأساوياً عندما يحاول البعض الانحراف بالقطار بعيداً عن محطته الأخيرة وغايته .

وهذه الحالة تنسحب على احسان الله خان أيضاً الذي وسوست له نفسه احتلال طهران بعد أن رأى نفسه مبعداً عن اللجنة القيادية .

ولقد كان الانكليز حاذقين في لعبتهم فارسلوا الى «إحسان» من يوسوس له ذلك .

ومن دون أية مشورة فرك الاخير يديه وهو لا يكاد يصدّق ما يسمع ، أن هناك من سينضم اليه في الطريق اذا زحف بقوّاته على محور «تنكابن ـ طهران» .

وما أسرع أن عبأ قواته التي بلغ تعدادها ثلاثة آلاف مقاتل وكانوا خليطاً من الروس والايرانيين .

وفي بداية الطريق وجد نفسه في مصيدة من سوّل له ذلك فقد انقضت عليه قوّات القوزاق في «ميل زغال» وكتائب «ساعد الدولة» الذي شجعه قبل ذلك على فكرة احتلال طهران .

وقد وقعت هذه الحاثة في نيسان ١٩٢١ أي بعد التفاهم الروسي الانكليزي والمعاهدة «الانكلوايرانية» ؛ من هنا أبرق

السفير السوفيتي «روتشتين» الىٰ الضباط الروس الذين رافقوا احسان الله خان في عمليته أن يسحبوا أنفسهم من الصراع ؛ ولهذا لم يقوموا اثر ذلك بأي جهد عسكري يذكر !

## الاستقطاب . . محنة الاسلام المقاوم

وفي تلك الفترة العصيبة وفيما كانت الحوادث تعصف بعنف ظهرت في الأفق غيوم كثيفة تشبه غيوم الخريف المتراكمة بعضها فوق بعض .

كانت الغابة تعيش حالة الاستقطاب بين الروس والانكليز وعندما تتحرك طموحات شخصية ، ومنافع ذاتية في مقطع زمني من مسار الثورة ، فان الجوّ سيكون ملائماً لنمو النزاعات الفردية ، والمصلحية علىٰ حساب المبادىء ، وأهداف الثورة العليا .

وقد فعل الاستقطاب الذي نهض علىٰ أُسس مصلحية فعله وفجرّ الوضع داخل الغابة ، فانهارت خطوط دفاعية وذابت فجأة كما تذوب حبات الملح علىٰ الشاطىء .

وكان كوجك خان في تلك الفترة العصيبة يشعر بان أيادي الانكليز تتوغل لتعبث داخل الغابة ومن وراء ستار[109] . .

حتى ستار الشيوعية التي كانت تتشدّق بمعاداة

«البرجوازية الانكليزية» .

وقد دفع هذا الاستقطاب الذي حصل في ظروف مشبوهة قائد الغابة الىٰ التشكيك في الحركة الشيوعية خاصّة في الشمال الايراني[110] .

ونجد هذه الاشارة في رسالة له الىٰ أحد اصدقائه خارج ايران .

ان من الحوادث الهامّة التي ينبغي لمن يؤرخ للجغرافيا البشرية والتاريخ في القفقاز وما يجاورها ، هو الانتباه الىٰ التفاهم السوفيتي الانكليزي حول تصفية الاتجاه الاسلامي وقمعه بقسوة .

فبالرغم من الاتجاه الاممي للشيوعية إلّا أننا نرىٰ القيادة في موسكو تقوم بتقسيم القفقاز علىٰ اساس قومي .

فجمهورية تركستان تتحول بقرار من ستالين سنة ١٩٢٤ الىٰ ست جمهوريات[111] .

وكان الهدف الروسي من تمزيق آسيا الوسطىٰ جاء اثر مخاوف من اتحاد اسلامي قد ينقل مركز الثقل من روسيا الىٰ القفقاز ، وبالتالي سلب القيادة من الروس[112] .

وهناك مؤشر هو حول الهواجس الروسية من الخطر الاسلامي ، فقد مُنع أنور باشا القائد العام للجيوش العثمانية

من القاء كلمته في مؤتمر الشرق في باكو سنة ١٩٢٠ ، لسبب واحد هو الخوف من تحوله الىٰ رمز اسلامي خاصّة في القفقاز التي تعيش فيها قوميات تركية واسعة .

وكان أنور باشا يسعىٰ من أجل أن يبقىٰ العلم الاسلامي التركي خفاقاً في القفقار حتى مصرعه سنة ١٩٢٢ ، واستمرت المقاومة في هذا الاتجاه حتى سنة ١٩٢٤[113] .

ومن هنا فاننا نجد تفسيراً للغدر الروسي لحركة الغابة وطعنها من الخلف .

فأنور باشا لم يُمنح حتىٰ فرصة التعبير عن امّته المقهورة في تركيا في باكو فيما يجد مصطفىٰ كمال باشا (أتاتورك) الطريق ممهدة داخل تركيا نفسها لأنه باع القفقار بثمن بخس دراهم معدودة !

وليس من الصعب علىٰ الاستعمار الغربي أن يصنع ابطاله في تلك الفترة العاصفة عندما تحلم الشعوب برغيف من الخبز تأكله في لحظة آمنة .

وليست التجربة التونسية عنا ببعيد فعندما وجد الاستعمار الفرنسي أنه لم يعد له مكان في الأرض التونسية وكان أمامه خيار واحد هو تسليم الراية لابناء تونس ؛ فقام باعتقال «بورقيبة» العلماني وترك ابناء ابن باديس (احراراً)

ومعنىٰ هذا انه منح وسام البطولة لـ (بورقيبة) الذي تحول في ساعة الىٰ (بطل) تونس ! !

وثم جاء (المجاهد) بورقيبه لينفذ برنامجه الحكومي الذي لم تكن الادارة الفرنسية لتطمح في تطبيقة !

وفي الفترة التي كانت الادراة الانكليزية تصوغ (البطل) التركي في الحرب مع اليونان ؛ كانت قد عثرت علىٰ ضالتها في ايران في شخص رضا خان ؛ الذي لم يكن سوى ضابط صف ليتحول الىٰ قائد فرقة القوزاق ثم يزحف بقوّاته الىٰ طهران ، ويحتل العاصمة ويعلن حكومة عسكرية ، في «مأمورية من أجل الوطن»[114] ! ! يكون هو وزيراً للحرب فيها ثم رئيساً للوزراء .

وفيما كان البطل يشق طريقه باتجاه زعامة ايران كان الشيوعيين من الصناعة الانكليزية يحبطون مساع لانتخاب كوجك خان رئيساً للجمهورية ، ثم يحفرون قبوراً لدفن الاغنياء أحياءً أو يتنازلون عن أملاكهم[115] !

وفي غمرة هذا الاستلاب الذي يهدّد هويّة الثورة جاءت خطوة كوجك خان في مغادرة رشت احتجاجاً على العبث المدعوم من السوفيت .

كان كوجك خان يعتقد بان العبث الشيوعي مصدره باكو ،

وأن موسكو ترفع لواء الحرب ضد الانكليز ! وسوف تضرب علىٰ أيدي العابثين[116] .

علىٰ أن كوجك خان كان قد حدد مدّة للانتظار وبعدها سوف يعمل بما يمليه عليه ضميره وواجبه الوطني[117] .

وفي فترة الانتظار والترقب كانت گيلان تتطلع الىٰ ابنها البار الذي شهدت في ظلاله حياة الحرّية والكرامة ، فمن خلال بعض المقطوعات الشعرية التي يتغنىٰ بها شباب گيلان نكتشف ان كوجك خان قد ولج ضمير الگيلانيين كانسان ومبادىء .

«حتام تبقىٰ في الغابة
تنام ؟ !
ألم تتعب بعد ؟
أنت . . يا ميرزا كوجك خانا
الله وحده يعلم
انني لم أذق نوماً
خشية العدو
قلبي فارغ
انت !
يا ميرزا كوجك خانا

لماذا لا تهبّ الينا ؟
لا تخفّ الينا ؟ !
تركتها وحيدة
گيلان . . گيلان المدمّرة
هلمّ الينا . . ياروحنا
فداءً لك
لعينيك اللتين تشبهان البحر
نحن أبناء «رشت»
ننتظر أوامرك
نسكب مهجنا عند قدميك
انت !
يا ميرزا كوچك خانا»[118]

وتكشف البرقيات السرّية المتبادلة بين السياسين الروس عن ان التحرّك السوفيتي كان يجري من وراء ستار جمهورية آذربيجان .

وان الذين كانوا يتحركون علىٰ هذا الصعيد مباشرة ليسوا إلّا أدوات في أيدي الساسة الروس ، الذين أقدموا فيما بعد وبأنفسهم على عقد الاتفاقية مع حكومة طهران[119] .

وفي كل الاحوال فلم تطل مدّة الانتظار وتسلّم كوچك خان

رسالة أعرب فيها كل من احسان الله خان وخالو قربان عن ندمهما العميق ، ورغبتهما بالعودة الىٰ احضان الغابة وتزامنت المصالحة مع محادثات أجراها ممثلون عن حكومة باكو الذين دفعوا بـ«حيدر عمو أوغلي» كثوري نشط كانت له مواقفه في الحركة الدستورية الىٰ قلب المسرح السياسي .

وتكشف الرسالة التي بعث بها كوجك خان الىٰ رفيقه عن افكار ومبادىء الثائر وموقفه من اخطاء رفاقه في الجهاد[120] .

وفي رسالته يكشف كوجك خان عن مواقفه الصريحة في علاقته بالسوفيت هذه العلاقة التي حدّد لها اطاراً رسمياً يلزم السوفيت بتقديم المساعدات العسكرية اذا لزم الأمر دون التدخل في الشؤون الداخلية[121] .

## التعهد السوفيتي . . . شعارات ثورية تحت الاقدام

وفي مراسم تتويج أحمد شاه في آيار ١٩٢١ كان السفير السوفيتي يخاطب شاه القاجار الأخير قائلاً «أؤكد لجلالتكم بان حكومتي ستعمل برغبة أكيدة علىٰ تصفية المسألة الگيلانية»[122] كان الروس يفكرون باجراءٍ يضمن لهم حلّ المشكلة بطريقة لا تؤثر على سمعتهم كحاملين لراية الثورية ومناهضة الاستعمار .

ولذا فكـروا فـي الاجـتماع بكـوجك خـان واطـلاعه علىٰ معلومات سـرّية للـغاية بشأن مسـتقبل العـلاقات بـين ايـران والسوفيت ؛

وكـان الحـل الامـثل فـي رأيـهم اقـناع قـائد الغـابة بـانهاء الثـورة ؛ ولعـلّ خـلاصة الرسـالة المـوجهة الىٰ كـوجك خـان تنطوي في هذه العبارة : «ان ايران لا تحتاج الىٰ ثـورة» «اذهب الىٰ زاوية من زوايا الغابة وانتظر . . . فلعل الشـعب الايـرانـي يستدعيك لنصرته»[123] «وأن الثوره في الوقت الحاضر ستلحق الضرر باقتصاد واستقلال ايران» ! !

وقد أكدت رسالة السفير السوفيتي ان وزير الحرب (رضا خان) يلح في تصفية الثورة بقوّة السلاح[124] .

وكان السفير السوفيتي قد أبرق الىٰ قائد القوات السوفيتية في گيلان «كيغالو» لينوبه فـي المـحادثات مـع كـوجك خـان ، والاجتماع به علىٰ انفراد .

وفي الاجتماع الذي تم بين قـائد الغـابة والقـائد الروسـي كشف الأخير عن بعض الأسـرار وأن الثـورة سـوف تـواجـه منعطفاً خطيراً في المستقبل القريب[125] .

**موقف كوجك خان :**

ان ما يحزّ في النفس هو ثقة كوجك خان بقادة الثورة البلشفية ، ومن المؤكد أن جزءً كبيراً من هذه الثقة مردّه الىٰ طبيعته كثائر وإنسان وصاحب مبدأ .

فلم يكن ليتصور أن تباع مبادىء ثورة كبرىٰ بهذه السرعة أو تكون ثورة كهذه خاوية من المبادىء منذ البداية .

لقد وصف كوجك خان شيوعي آذربيجان بالمنافقين واعتبرهم خطراً يهدّد مسيرة جهاده ؛ ولكنه لم يتعامل مع قادة موسكو بهذه الرؤية .

ومن المؤسف أن الطعنة قد جاءت من حيث لم يحتسب .

ففي رسالته الجوابيه نرىٰ كوجك خان يتأثر بآراء السفير السوفيتي فيما يخص مستقبل ايران وحركة الغابة في ضوء المعطيات العالمية والظروف الجديدة التي تمرّ بالمنطقة .

ومن المؤكد ان السفير السوفيتي عرف كيف يمسّ الوتر الحساس في شخصية كوجك خان .

فشخصية الثائر الذي نذر نفسه من أجل ايران حرّة مستقلة وتحيا حياة كريمة ؛ مستعدة للاصغاء في هذا المضمار .

وفي ردّه علىٰ رسالة السفير يقول قائد الغابة : انه

يتوقف في محطّات عديدة يعالج فيها أزمة اولئك الذين لا يريدون للقطار أن يواصل طريقه المنشود .

ثم تأخذ المحنة شكلاً مأساوياً عندما يحاول البعض الانحراف بالقطار بعيداً عن محطته الأخيرة وغايته .

وهذه الحالة تنسحب علىٰ احسان الله خان أيضاً الذي وسوست له نفسه احتلال طهران بعد أن رأىٰ نفسه مبعداً عن اللجنة القيادية .

ولقد كان الانكليز حاذقين في لعبتهم فارسلوا الىٰ «إحسان» من يوسوس له ذلك .

ومن دون أية مشورة فرك الاخير يديه وهو لا يكاد يصدّق ما يسمع ، أن هناك من سينضم اليه في الطريق اذا زحف بقوّاته على محور «تنكابن ـ طهران» .

وما أسرع أن عبأ قواته التي بلغ تعدادها ثلاثة آلاف مقاتل وكانوا خليطاً من الروس والايرانيين .

وفي بداية الطريق وجد نفسه في مصيدة من سوّل له ذلك فقد انقضت عليه قوّات القوزاق في «ميل زغال» وكتائب «ساعد الدولة» الذي شجعه قبل ذلك على فكرة احتلال طهران .

وقد وقعت هذه الحاثة في نيسان ١٩٢١ أي بعد التفاهم الروسي الانكليزي والمعاهدة «الانكلوايرانية» ؛ من هنا أبرق

السفير السوفيتي «روتشتين» الىٰ الضباط الروس الذين رافقوا احسان الله خان في عمليته أن يسحبوا أنفسهم من الصراع ؛ ولهذا لم يقوموا اثر ذلك بأي جهد عسكري يذكر !

## الاستقطاب . . محنة الاسلام المقاوم

وفي تلك الفترة العصيبة وفيما كانت الحوادث تعصف بعنف ظهرت في الأفق غيوم كثيفة تشبه غيوم الخريف المتراكمة بعضها فوق بعض .

كانت الغابة تعيش حالة الاستقطاب بين الروس والانكليز وعندما تتحرك طموحات شخصية ، ومنافع ذاتية في مقطع زمني من مسار الثورة ، فان الجوّ سيكون ملائماً لنمو النزاعات الفردية ، والمصلحية علىٰ حساب المبادىء ، وأهداف الثورة العليا .

وقد فعل الاستقطاب الذي نهض علىٰ أُسس مصلحية فعله وفجرّ الوضع داخل الغابة ، فانهارت خطوط دفاعية وذابت فجأة كما تذوب حبات الملح علىٰ الشاطىء .

وكان كوجك خان في تلك الفترة العصيبة يشعر بان أيادي الانكليز تتوغل لتعبث داخل الغابة ومن وراء ستار[109] . .

حتى ستار الشيوعية التي كانت تتشدّق بمعاداة

الأوضاع وانغماس كثير ممن التقاهم ـ خلال درب الجهاد ـ في حمأة التآمر من أجل حطام دنيوي زائل .

وشهد صيف سنة ١٩٢١ تصدّع آخر لجنة لقيادة الثورة فقد ظهرت في الأفق كل الاشياء والاتجاهات التي أريد لها أن تبقىٰ دفينة .

وفي ظروف غامضة وردت برقية من روسيا تفيد بالقاء القبض علىٰ «عمو أوغلي» واعادته الىٰ روسيا !!

وكان مسار الأحداث قد فجّر في اعماق الاخير حالة من اليأس عنيفة .

وبدأت الخلافات تظهر بين أكبر شخصيتين في اللجنة القيادية بين كوجك خان و حيدر عمو اوغلي . . وكانت اهداف الأخير جرّ مسار الثورة الىٰ دوامّة العنف الاحمر ، فراح يخطط لازاحة كوجك خان عن طريقه .

ومن الطبيعي أن يجد عمو اوغلي في خصوم ميرزا داخل الغابة آذاناً صاغية وخيلاً ورجالاً . .

وفي غضون فترة وجيزة ظهر تكتل يناصر عمو أوغلي راح يتحدث علناً ضد كوجك خان . . .

ولم يكن أولئك الذين وقفوا الىٰ جانب أوغلي سوىٰ رموز تبحث عن المجد المادّي . . والمنافع الشخصية .

لقد كان طريق كوجك خان هو الطريق الصعب . . طريق الاستقامة المرير الذي يعني التضحية والفداء والبذل حتىٰ النهاية .

ولم يكن هناك في تلك الفترة علىٰ الأقل من يمكنه مواصلة طريق الجوع والسهر والقتال المستمر بين اشجار غابة تغسلها الامطار ليل نهار .

وأدلت الحكومة برئاسة عميل الانكليز «سيد ضياء الدين الطباطبائي» بدلوها فراحت تصطاد في المياه العكرة[130] .

وظهر «حاجي احمد كسمائي» الذي هزّ استسلامه ارجاء الغابة في فترة سابقة . . ظهر مرة أخرىٰ في مأمورية سجّلت المدىٰ الرهيب الذي قد يصل اليه المرء في الخيانة والتآمر . .

وكانت مأمورية الأخير تصفية كوجك خان بتأليب جميع اعدائه وهكذا جرّد اسلحته بما في ذلك السلاح الخفي «المال» الذي لم يعد يصمد في وجهه سوىٰ القليل في تلك الايام العاصفة .

كان حضور حاجي أحمد مع ستين من أفراده المسلحين قد أثار قلق القائد السوفيتي «كيغالو» الذي اصدر أمراً بالقاء القبض عليه وعلىٰ رجاله .

وكشفت الحادثة من حجم المؤامرة فاذا باحسان الله خان

يزور حاجي أحمد بالرغم من العداء الشخصي الذي يكنه له .

وكان ميرزا يشعر بالألم يعتصر قلبه جرّاء الممارسات التي يقوم بها «أوغلي» والتي تنذر بوقوع الكارثة والتي يشم فيها رائحة التآمر .

وفي اجتماع ضم كوجك خان و «عبدالحسين خان ثقفي» القائد الميداني وغافك الالماني وبعض الزعامات أُتخذ أخطر قرار مصيري ؛ وهو القاء القبض علىٰ زعماء الخط الشيوعي بقيادة أوغلي ومحاكمتهم بتهمة التآمر وخيانة الميثاق الذي تم القسم علىٰ الوفاء له في آب ١٩٢١ .

## حادثة ٢٦ محرّم ١٣٤٠هـ . . .

إنّ ما اسفر عنه الاجتماع يمكن اعتباره عودة الىٰ الذات . . . الىٰ الجذور الحقيقية التي نهضت عليها حركة الغابة ، أو حركة تصحيحية لازالة ما علق من غبار عن وجه الثورة الحقيقي . . . لقد وصلت الأمور فيما يبدو الىٰ «النقطة الحرجة» حيث يعني السكوت بعدها تغاضياً عن المؤامرة وافساح المجال امام الانتهازين في السطو علىٰ الثورة .

اعتاد اعضاء لجنة القيادة الاجتماع اسبوعياً في «ملاّ سرا» قريباً من مدينة رشت .

وهكذا تقرر القاء القبض علىٰ خالو قربان الزعيم الكردي وحيدر عمو أوغلي وهما زعيما الجبهة المعادية لكوجك خان .

وقد ارتكب الذين انيطت بهم مهمة تنفيذ الاعتقال خطأ فادحاً ، باطلاق الرصاص علىٰ البناية التي كانت مقرّاً للاجتماعات الاسبوعية .

بدأ اطلاق الرصاص من علىٰ بعد ٤٠ متراً أو اكثر ، ولا يوجد تفسير منطقي لهذه الخطوة .

ومن المؤكد أن طريقة ايسر بكثير من ذلك يمكن تنفيذ أمر الاعتقال بها .

علىٰ أن المرء يمكنه أن يستشف نوعاً من الفروسية في منح الطرف الآخر فرصة الدفاع عن النفس في موقع حصين .

كان المهاجمون يتقدمون باتجاه بناية ملا سرا ، وكان أزيز الرصاص وأصوات انفجار القنابل اليدوية تملأ الفضاء وقد اشترك ثلاثة من زعماء الحركة في عملية الهجوم وهم غافك الالماني ، واسماعيل جنكلي ، ومعين الرعايا[131] .

وسقط عديد من القتلىٰ والجرحىٰ ، ولكن العملية اعتبرت فاشلة واسفرت عن نتائج خطيرة عصف بالغابة بعد حين .

لم يسفر الهجوم عن القاء القبض علىٰ أي من الزعيمين ، فقد تمكن خالو قربان بما يتمتع به من لياقة حربية من القاء

نفسه من فوق البناية والتواري داخل الغابة ثلاثة أيام ، ريثما تخف عمليات البحث ؛ فيما تمكن أوغلي من الفرار أيضاً حيث تمكن من عبور النهر ليُلقى القبض عليه في «بسيخان» في الغرب من مدينة رشت ، فارسل مخفوراً الىٰ قرية «كسما» ريثما تسنح الفرصة لمحاكمته .

**الانفجار الاخير . . شظايا الانطفاء**

في حزيران سقطت حكومة سيد ضياء الدين[132] لتأتي حكومة العوبة هي في الحقيقة غطاء لحكم عسكري مطلق يديره الانكليز عبر بطلهم «البطل القومي» رضا خان .

فلم تكن حكومة قوام السلطنة[133] ـ وهو أخ لوثوق الدولة ـ سوىٰ واجهة شكلية لتمرير المؤامرات البريطانية .

عندما وقعت حادثة ملاّ سرا كان الحاكم الفعلي «رضا خان» وزير الحرب الذي أخذ علىٰ عاتقه تصفية المسألة الگيلانية بقوّة السلاح وكان يلح في بدء الهجوم[134] .

كشف المنافقون عن وجوههم الكريهة ، وكانت أول ضربة تلقتها الغابة تمثلت بهجوم التكتل الكردي بقيادة خالو قربان الذي تمكن من الوصول الىٰ رشت واعداد جنوده لهجوم

شارك الروس فيه .

وفي تلك الفترة بدا أن أحد قادة المجاميع وهو «سيد جلال چمني»[135] ـ يخطط لتفجير أزمة مع كوچك خان ليتخذها ذريعة في التزلف الىٰ الحكومة .

وقد كشفت الظروف عن جانب «المرتزق» في شخصيته إذ اصبح يهدد الخطوط الخلفية للمجاهدين بعد أن تسلّم أموالاً من طهران .

اشتعلت حرب الأيام السبعة بهجوم الأكراد والروس علىٰ مجاهدي الثورة ، غير أن هجوماً كاسحاً قام به المجاهدون في النهاية تمكن من الوصول الىٰ رشت وطرد الاكراد منها .

وفي هذه الفترة استلم الروس إشارات الانسحاب من ميدان الصراع .

فاتجه خالو قربان الىٰ رضا خان الذي اشتهر آنذاك بلقب «سردار سبه» ليلقي أمامه بسلاحه الشخصي معلناً استسلامه الخانع .

ولكن رضا خان الذي انيطت به مأمورية القضاء علىٰ الثورة يعيد اليه سلاحه ويمنحه رتبة عقيد ويزجّه مع أفراده في القتال الىٰ جانب القوّات الحكومية[136] .

## مفاوضات مع وزير الحرب :

وصلت المعارك أخطر مراحلها بعد استلام القوّات الحكومية الجبهة من الأكراد الذين اصبحوا في لحظة جزءً من القوّات الحكومية .

واعقب ذلك إعلان سيد جلال تمرّده علىٰ قيادة كوجك خان واصبح يهدد الخطوط الخلفية بصورة جادّة فاضطر المجاهدون الىٰ الانسحاب الىٰ نقاط آمنة .

ارسلت الغابة ممثليها الىٰ طهران للتفاوض مع رئيس الوزراء «قوام السلطنة» الذي صرّح قائلاً : انني لا أملك صلاحية في مسألة الحرب في الشمال . . . وأنه يجب التحدث مع «سردار سبه» شخصياً[137] .

وفيما كان ممثلوا الغابة ينتظرون عودة وزير الحرب الىٰ طهران ، كانت الحوادث تجري سريعاً في الشمال ؛ إذ قرر المجاهدون ارسال من يفاوض عنهم الىٰ رشت والاطلاع علىٰ موقف «سردار سبه»[138] .

وقد أوكلت مهمة التفاوض الىٰ شخصيتين[139] من رموز الحركة الثورية اللذين توجها الىٰ رشت للقاء وزير الحرب رضا خان ، وقد واجه المفاوضان عاصفة كلامية عنيفة عندما راح الضباط يكيلون التهم الىٰ حركة الغابة .

وعندما هدأت العاصفة بدأ ممثلا الغابة تـفنيد الافـتراءات الموجهة الىٰ الحركة .

كان رضا خان يصغي ثم تـدخل قـائلاً : اذا لم يكـن لهـذه التهم اساس فمن أين تموّلون انفسكم ؟

وأجـاب المـفاوض : ان الحـركة انشأت إدارة ذاتـية فـي الاقليم وهي تعتمد علىٰ الضرائب .

وبعد حوار قصير تغيّرت لهجة الوزير الذي صرّح أن كل ما قام به كوجك خان هو خدمة للبلاد وأنني اعـلن ذلك بـاسم الحكومة .

ثم أردف قائلاً أن هدفه ينسجم مع هـدف كـوجك خـان ، وأنه قد ثار في طهران وحقق ما يصبو اليه الثوّار في الغابة .

«لقد حققت قسماً من غايات كوجك خان وسأحقق القسـم الآخر»[140] .

وفي خطوة ذكية أمر وزير الحرب باصدار بيان حكـومي بهذا المعنىٰ .

ويـلتفت وزيـر الحـرب الىٰ المـفاوضين سـائلاً عـن عـمر كوجك خان ؟

ـ ٤٥ سنة .

يلتفت الىٰ الكاتب .

ـ اكتب : اطلب منكم الحضور لنشد أيدينا علىٰ بعضها من أجل انقاذ ايران .

وقد اسفر الحوار بين وزير الحرب وحركة الغابة فيما بعد عن اتفاق مبدأي حول هدنة لمدّة ٤٨ ساعة .

ويبدو من خلال سياق الحوادث ان رضا خان كان يحاول اشاعة حول مصالحة حركة الغابة مع الحكومة ، سيما وأن مسلسل التسليم سيعزز هذه الشائعة ولسوف تفعل هذه الوسيلة فعلها في دفع المجاهدين الىٰ حالة من التداعي والانهيار ، ولم تكن الهدنة سوىٰ عملية تضليل .

علىٰ أن هذا المقطع التارخي يكتنفه الغموض ، ولا يعرف بالضبط ما اذا كان الطرفان جادّين في مسألة التفاوض وحلّ المشكلة سلمياً أم لا ؟

هل أرادت حركة الغابة تضليل رضا خان[141] ؟ أم ان رضا خان يلعب دوره في تفتيت روح المقاومة ودفع مجاميع أخرى للاستسلام .

غير أن مواقف كوجك خان لا تؤيد الرأي الأول فطبيعته ومبادئه ومواقفه خلال مسار الثورة ونفوره من الحرب الاهلية واقتتال الأخوة تؤيد موقف الغابة في الخروج من المأزق بحلّ مشرّف ، يحفظ كرامة الثورة ، ويوفر للمجاهدين

بقعة صغيرة يعيشون فيها بسلام .

وما يؤيد هذا الرأي مواقف سابقة كان كوجك خان يتجنب فيها الاصطدام بالأخوة ابناء الوطن ؛ ولعل موقفه في معاملة اسرىٰ القوزاق كافية للاستدلال في ذلك .

لقد رفع كوجك خان راية الجهاد ضد اعداء الاسلام ولهذا نرىٰ مسلمي القفقاز ينضمون الىٰ جانبه ونرىٰ ايضاً بعض جنود بريطانيا من مسلمي الهند[142] يفرون من معسكراتهم ويلتحقون بالغابة لان زعيماً مسلماً يقاتل من أجل الاسلام .

وحتىٰ لا تنهار خطوط المقاومة بفعل شائعات ووعود حكومية غير مؤكدة[143] عمّم كوجك خان رسالة الىٰ قادة المجاميع الجهادية في مواقعها الدفاعية وهي توصي الجميع إلّا يغادروا خنادقهم بسبب مفاوضات لا تعرف نتائجها . وأن يبقوا علىٰ أهبة الاستعداد تحسباً للطوارئ[144] .

وقد سقطت نسخة من الرسائل في يد رضا خان بتاريخ ٢ تشرين ١٩٢١ وأثارت أعصابه لأنها تتضمن خطة عسكرية للالتفاف علىٰ خطوط القوزاق اذا لم تسفر المفاوضات عن حل مشرّف .

وقد وضع الهجوم العام حدّاً للمراسلات بين حركة الغابة ووزير الحرب كما قضت علىٰ آمال التوصل الىٰ حلّ سلمي

يجنب الغابات نزف الدم والاقتتال بين الأخوة .

**الخريف . . فصل الرحيل :**

رياح الخوف تعصف خلال الغابات وتبشر بشتاء قارس وبرد طويل ، وكان اشجار «آزاد» و «توسكا» تميد لكأنها تهتز لعنف المعارك .

وكانت خطّة كوجك خان في ضوء حالة التداعي إلّا يزجّ بما تبقىٰ من انصاره في حرب خاسرة ولهذا كانت خطّة الانسحاب باتجاه الجبال واخفاء السلاح في اماكن سرّية وضعت موضع التنفيذ ، وكانت مجاميع المجاهدين تختفي هنا وهناك . . في فصل يثير لواعج الحزن في قلوب كسيرة .

ويبدو أن ميرزا كوجك خان يعتبر الأرض والانسان والسلاح شروطاً في إشعال الثورة واستمرارها ، فاذا حدث وانعدم بعد الأرض فان مسار الثورة سيتعثر ولا شك ؛ ذلك أن الارض بعد حياتي في الثورة ، غير أن الثورة لن تختنق مادام هناك ثائر يتنفس ، وتبقىٰ الثورة كظاهرة اجتماعية مرتبطة بالانسان ، ومن الممكن خمودها ولكن تبقىٰ جذوتها متوهجة ولو تحت الرماد ، كصاعق يعيد تركيب عناصر الثورة من جديد ويعدّها للحظة الانفجار في ساعة الصفر .

ان كوجك خان وهو يخزن السلاح في مخابىء سرّية ويغادر اقليم گيلان باتجاه خلخال ، لابدّ وأنه كان ينظر الىٰ المدىٰ البعيد عندما تكتشف الامّة زيف الادعاءات وتنكشف اقنعة النفاق وعندها يتدفق الثوّار صوب الغابة لحمل السلاح عندها تأزف اللحظة الموعودة .

**رسالة للتاريخ . . . والاجيال :**

كان ميرزا كوجك خان يبحث عمّن يوجه باسمه رسالة للتاريخ والمستقبل ذلك أنه كتب هذه الرسالة الىٰ شخص يكاد يكون مجهولاً أو علىٰ الأقل غير معروف إذ لم يرد له ذكر في اثرى مصدر أرّخ لحركة الغابة .

والرسالة التي يعود تاريخ كتابتها الىٰ ٢٨ تشرين الأول ١٩٢١ هي آخر ما كتبه كوجك خان .

كلمات تطفح بالألم والحسرة وفيها شكوى من اولئك الذين لا يعرفون قدر هذه الثورة التي لا تنشد سوىٰ الخلاص للشعب والحرّية للوطن المقهور[145] .

وفي تلك الفترة العاصفة من تاريخ الثورة كانت الآفاق تبدو مظلمة ، الرياح تعصف بعنف وقد بدأت الثلوج تنهمر في مرتفعات «گيلوان»[146] .

قوّات المجاهدين تتمزّق بسبب الجوع والسهر وعنف المطاردة وينصح كوجك خان رفاقه بالتفرّق[147] لأن المطاردين لا يهمهم سوى القبض عليه انه قلب الثورة النابض بالحياة فاذا ظفروا به ذهلوا عن طلب غيره ، وتعيد كلماته الىٰ الاذهان ما ورثته الذاكرة الشيعية من مواقف عاشوراء عندما عرض الحسين علىٰ رفاقه فكرة مغادرة كربلاء بعد أن جعلهم في حلٍّ من بيعته لأن المطلوب قهر الحسين ليس غير[148] .

**اللقاء الاخير :**

وفي آخر لقاء له مع زوجته ، اختارت الطبيعة خلفية مؤثرة فالفصل خريف ، ورياح باردة تجوس الغابات وتشتت أوراقاً صفراء كانت ذات يوم زاهية الخضرة ؛ وقد غادرت طيور الربيع ليحلّ مكانها نعيب الغربان وهو ينذر بالفراق والرحيل .

كان اللقاء مؤثراً تجمعت فيه الدموع في العيون كغيوم ممطرة .

وفي ذلك اللقاء أيقن كوجك خان انه سيكون الاخير ؛ عرض كوجك خان الطلاق علىٰ زوجته حتىٰ لا تربط مصيرها برجل محكوم بالموت سوف يقضي حياته القادمة مشرّداً في

المغاور والجبال والغابات .

كانت زوجته الشابّة والتي تزوجها حديثاً فيما يبدو ترفض بصمت ودموع موقف زوجها النبيل .

«ما تزالين في ريعان شبابك . . انني لا أريد أن تكوني عرضة للاخطار . . وأنت لم تقطفين زهرة واحدة من مرج الحياة . . والطلاق «حلال المشكلات» وسوف يمكنك بعد ذلك أن تبدأي حياة جديدة» ؟

ـ «انني ارفض ذلك . . لا أريد أن أكون غادرة . . لسوف يمقتني الناس . . انني ما زلت افتخر بك وأراك على قمم المجد . . إذا بقيت حيّاً فسوف احمد الله ، وأن اختارك الىٰ جواره فقد وقع الطلاق الالهي ، ومع هذا فلن اتزوج بعدك أبداً»[149] .

**الطريق الصعب :**

كانت الرياح تعصف بعنف فتثير الثلوج في القمم والسفوح ، وتلفح الوجوه كانوا ثلاثة يشقون طريقهم بصعوبة وسط الثلوج : كوجك خان ، غافك (هوشنگ) ، حسن خان المعروف بـ «معين الرعايا» نظر كوجك خان الىٰ مرتفعات «گيلوان» الطقس ينذر بـ «بوران»[150] عنيفة وقد ضاعت معالم

الطريق .

كل شيء يغمره الثلج ؛ ولكن حسن خان خبير بمنعطفات الطريق الوعرة سوف يسلك بهم طريقاً آمنة بعيدة عن هجمات القوزاق ، وتؤدي بهم الىٰ خلخال .

انقطع ازيز الرصاص ، وهدأت المدافع ، وتشتت قوّات المجاهدين ، وقد القي القبض علىٰ القائد الميداني العام[151] .

وبالرغم من عنف العاصفة وغزارة الثلوج فقد بدت الطبيعة اكثر رحمة من أولئك الذئاب ، ان غضب الطبيعة لم يكن إلّا لحماية المطاردين .

كان القوزاق يبذلون المستحيل في القبض على المطاردين ، ويشاء القدر أن يتقدم احدهم الىٰ وزير الحرب «رضا خان» عارضاً عليه منح الأمان لابن عمه معين الرعايا انه الوحيد الذي يعرف اسرار تلك المرتفعات فاذا اصغى لوعود الحكومة فمعنىٰ ذلك نهاية الثائر العنيد ، والكشف عن مخابىء السلاح .

ويخفّ ابن العم وهو الآخر خبير بمجاهل گيلوان ليلحق بابن عمه ويبشره بالأمان . . «ان وزير الحرب يقول ان «قصّة الغابة» علىٰ وشك الانتهاء ، وأنه لا مناص من الاستسلام[152] وينبعث بريق في عيني «معين الرعايا» ، بريق يشبه عيني

الاسخريوطي في لوحة العشاء الأخير[153] .

كان «حسن خان» معين الرعايا يعيش فصلاً مدمّراً من الصراع النفسي ، وكانت آلاف الافكار تتراكض في رأسه كخيول مجنونة .

ولم تفلح الرياح الخريفية الباردة في اطفاء لهيب الحمىٰ في رأسه .

لهذا اكتفىٰ ابن عمه بان أوصل اليه الرسالة ويكفي في استجابته أن يتأخّر عن رفيقيه في الطريق .

وفي معركة كهذه يخسر بعض الرجال انفسهم ، وتبدو الحياة في عينهم جميلة ناعمة . .

ان طريق الثورة طريق شائك صعب ، طريق مليء بالثلوج والالغام ، يدوّى في جنباته أزيز الرصاص . .

تكفي اثارة الطموحات . . . الاطماع في اعماق البشر في اشعال معركة ضارية تسفر في الغالب عن هزيمة الانسان أمام غرائز تموج في اعماقه ان «اكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع»[154] .

وكان طريق كوجك خان هو ذاته الطريق الذي حدد معالمه علي وهو يهتف علىٰ شاطىء الفرات بصفين : «الموت في حياتكم مقهورين والحياة في موتكم قاهرين»[155] .

هل ورث كوجك خان هذه الكلمات عبر أجيال توارثت المجد العلوي خلال القرون[156] ؟

الرجال الثلاثة يواصلون السير . . يشقون لانفسهم طريقاً خلال الثلوج وسط طبيعة غاضبة تدفع بالثورة الىٰ مصير مؤسف .

كان «معين الرعايا» يثاقل الىٰ الارض ونداء الحياة الدنيا يضج في اعماقه يحطّم صرح الثورة والكرامة والخلود .

وشيئاً فشيئاً كانت خطواته تبتعد عن خطىٰ كوجك خان وفيما كانت العاصفة الثلجية تشتدّ كان «معين الرعايا» يخلع لقبه ليعود الىٰ ذاته الجديدة حسن خان «كيش درأي»[157] .

والتفت كوجك خان ليجد رفيقه قد اختفىٰ لقد ضاع أو ضيّع نفسه .

وتاهت السبل علىٰ قائد الثورة ورفيقه الوحيد «هوشنگ» لقد مرّ كوجك خان بظروف مريرة ولكن تشرّده في الجبال المكللة بالثلوج دون دليل وغدر الرفاق قد حطّم ولاشك قلبه المترع بالحزن والمرارة .

نظر بألم الىٰ رفيقه الغريب ؛ ان مأساته الانسانية كمشرّد لم يجد ملاذاً إلّا في قلب كوجك خان لا تقل عن مأساة قائد ثورة الغابة .

هاهي العاصفة الثلجية تزداد جنوناً ، وقد بدا غافك أو هوشنگ[158] اكثر اعياءً لم يعد يقو علىٰ السير انه ينوء بنفسه وسط عاصفة قاسية .

الجوع والبرد والاعياء اسلحة اضافها القدر لانهاء ثورة الغابة سقط «هوشنگ» الرفيق الوحيد لكوجك خان في طريقه الصعب باتجاه خلخال[159] .

ان طبيعة كوجك خان ومسلكه الاخلاقي لن يسمح له بترك رفيقه وسط الثلوج . . لقد كان بامكان كوجك خان الذي يتحلّىٰ بلياقة بدنية عالية أن يصل الىٰ منطقة ما بمفرده والنجاة بنفسه ولكن ذلك كان يصطدم مع اخلاقه كثائر وانسان .

حاول أن يساعده علىٰ السير ولكن دون جدوى وشيئاً فشيئاً كان البرد يتسلل الىٰ كل خلية من خلايا جسده كل الخلايا جنحت الىٰ النوم واصبح نبضه بطيئاً جداً . . البرد يدعوه الىٰ النوم . .

وحدها الذكريات كانت تتوهج في اشتعال وانطفاء كبروق سماوية .

مشهد من كربلاء :

لاشيء سوىٰ الثلوج وقد غمرت المعالم والطرق في تلك

المعابر الوعرة في مرتفعات «گيلوان» .

لا شيء سوىٰ زمهرير العاصفة وهي تسفي الثلوج . .

لا شيء في تلك البقعة من دنيا الله حيث هوىٰ كوچك خان وسط الثلوج . . والىٰ جانبه رجل دفعته أقدار من أرض بعيدة . .

من بعيد لاح رجل قادم من خلخال يريد گيلان ، كان يحث السير قبل أن تتراكم الثلوج في المعابر وتسد الطريق الجبلي الوحيد .

رأىٰ المسافر سواداً وسط الثلوج الناصعة ، وصوّر له الخوف ان ما يراه ليس سوىٰ حيوانات مفترسة ، فاختبأ وراء كومة ثلج وراح يراقب ، ولكنه شيئاً لم يبدر من السواد ولا أية حركة !

ودفعه حب الاستطلاع الىٰ الاقتراب اكثر فاكثر فاذا هو أمام شخصين طوحت بهما العواصف والأيام .

تأمل في وجه أحدهما وبدا له انه يعرفه .

أجل . . انه ميرزا . . ميرزا كوچك خان المجاهد الذي اقترن اسمه بالنبل والبطولة والجهاد .

احتضنه فرك بدنه المتجمد لعلّه يعيد الىٰ جمسه قدراً من الدفء . . اسقط في فمه حبّات «سنجد» ولكن لا فائدة . . لقد

رحلت الروح الىٰ بارئها .

وخف الرجل المسافر الىٰ القرية القريبة «خانقاه» كان في قلبه بقيا أمل . . أو خيل اليه أنه يسمع نبضات واهنه تخفق في صدر ميرزا .

وهبّ رجال القرية رغم عنف العاصفة الىٰ نجدة الرجل الوحيد . .

ولم تمض سوى ساعة حتىٰ كان الجسدان يتمددان في وسط القرية .

كان أهل القرية يستعدون لاجراء مراسم دفن «الثورة» عندما دهمهم مئة فارس مسلح كانوا يجوبون الجبال بحثاً عن الشريد .

واصدر قائد الفرسان وقد ملأ قلبه الحقد أمره الىٰ أحد رجاله أن يحتز رأسه الثائر .

وتقدّم رجل يحمل ملامح «الشمر»[160] . ليستل سكينه ويذبح الثائر من الوريد الىٰ الوريد وتساقطت قطرات حمراء . . حمراء بلون ورود الـ «لاله»[161] .

ويعتقد بعضهم أن كوجك خان كان به رمق من الحياة بدليل قطرات الدماء المتساقطة .

وحمل الرأس . . رأس الثورة الىٰ مدينة رشت ليعلق أمام

ابناء گيلان لتحطيم روح الثورة في نفوسهم .

ان اللحظة التي علق فيها رأس الثائر الشهيد هي لحظة تراجع فيها الاسلام المقاتل أمام الظاهرة الاستعمارية .

كما فعل طغاة الامويين مع رأس الحسين فعل الأوغاد مع كوجك خان . . مشاهد تنتقل من كربلاء جعلت الناس يقارنون بين ما فعله الامويون وما يفعله القاجار .

وانبعثت من جديد تلك الشائعات التي تحدّثت في زمن «المشروطة» حول انتساب القاجار للامويين وتوارثهم السيف الذي ذبح به الحسين[162] .

وفي عملية تفتيش للجسد المسجّىٰ لم يعثر قائد الفرسان علىٰ شيء سوىٰ عملة صغيرة «قران» وختم يحمل اسم «كوجك جنگلي» .

وفي خطوة لتملق رضا خان قام خالو قربان الذي كان يقاتل ذات يوم تحت لواء كوجك خان قام بحمل الرأس الىٰ طهران ليقدمه هديّة الىٰ وزير الحرب الذي رمقه باحتقار ثم ليمنحه رتبة عقيد[163] !

دفن الجسد في قرية «خانقاه» بين گيلان و خلخال .

فيما دفن الرأس في مقبرة في طهران .

ويقوم أحد انصار الثائر بحمل الرأس سرّاً ليدفنه في محلّة

«سليمان داراب» حيث أمضىٰ الثائر سنين من حياته الثورية هناك مختبئاً في بيوتها عندما تقسو الأيام .

وبعد عشرين سنة أي في عام ١٩٤١ يقوم أحرار گيلان بنقل الجسد من قرية «خانقاه» ليلحقوه بالرأس بالرغم من اجراءات حكومية حاولت الحؤول دون ذلك .

وهكذا هوىٰ الثائر فوق الثلوج وسط العاصفة المزمجرة . . في الثاني من كانون الأول ١٩٢١ الثاني من ذي القعدة ١٣٤٠ ، وفي كل عام يتذكر الشعب الايراني هذه الفاجعة التي وقعت في ١١ آذر ١٣٠٠هـ.ش .

لقد دخل كوچك خان ضمير الاجيال كثائر وإنسان أما الذين غدروا به وطعنوه فقد ضاعوا في التاريخ وسقطوا من الذاكرة .

ما تزال غابات الشمال خضراء . . خضراء . . . ما يزال المطر ينهمر بغزارة . . وما تزال الرعود تدوّي . . والبروق تضيء ليل الغابات .

ومنذ اللحظة التي هوىٰ فيها الثائر . .

كانت السماء مثقلة بالغيوم .

الغابة منطفئة . . ووحيدة .

وأشجار السرو والصنوبر صامتة .

وليل الغابة مثقل بالبرد . . والحزن . . والصقيع .

وحدها البروق والرعود تدوّي .

تكسر حاجز الصمت .

تذكر بالثورة التي اشتعلت في الغابات يوما ما . .

ثم انطفأت

١ / صفر / ١٤١٩

٢٧ / آيار / ١٩٩٨

# الهوامش

46 . تزوج ميرزاكوجك خان في السنوات الأخيرة من حياته. سردار جنگل / ٣٧.

47 . كان القنصل الروسي قد اصدر قراراً بابعاد ميرزاكوجك خان عن رشت مدّة خمس سنين!.. سردار جنگل / ٢٨.

48 . تعتبر هذه العملية باكورة العمل المسلح في ثورة الغابة التي الهبت الضمير الگيلاني لاسباب اخلاقية ـ سردار جنگل / ٦٣.

49 . يتحدث تقرير القنصل الروسي عن ظهور مجموعة من «الأشرار» بقيادة ميرزاكوجك خان في منطقة «نرگستان» المليئة بالمستنقعات:

«ومن المحتمل انه في مكان ما من المستنقعات، ينهمك بجمع السلاح والرجال ولم تتخذ حكومة گيلان إجراءً بهذا الصدد... لذا نرجو من الحكومة الايرانية التصدّي لميرزاكوجك وقمعه..

ولقد سبق أن حذرت قنصليتنا واقترحت استئصال الخطر قبل استفحاله..

ان ما يلحق من أضرار بالرعايا والمؤسسات الروسية سوف تتحمل مسؤوليته الحكومة الايرانية..

تعتبر هذا التقرير وثيقة رسمية؛ نرجو من أولياء الأمور في الحكومة العلية الاهتمام بماورد فيها».

نهضت جنگل «الوثائق والتقارير السرية» ٥ / ١.

الوثيقة رقم ٢ / المؤرخة في ٢٢ آب ١٩١٥.

50. عرف عن ميرزا كوجك خان انه كان يردد بين صلواته اليومية هذه الآيات: «ومن يتوكل علىٰ الله فهو حسبه»، «قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء»، «ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءً».

سردار جنگل / ٣٨. ميراث ماندگار / ١٤٨.

51. اسمه في الاصل «محمد علي» وصل رشت سنة ١٨٩٧م قادماً من اصفهان بدأ حياته في رشت كاتب عرائض ويعيش في مرقد لسيدة علوية (يقال أنها اخت الامام الرضا عليه السلام) ونظراً لحسن خطه وانشائه فقد اصبح سكرتيراً لأحد كبار الملاكين ولأخيه، ثم ليصبح مستشاراً للقنصل الروسي الذي قام بتنصيبه رئيساً للشرطة بالرغم من اعتراض الحكومة المركزية؛ ويعود سبب ذلك الى قسوته في التحقيق مع الأفراد المشتبه بتعاونهم مع حركة الغابة. سردار جنگل / ٦٨.

52. نهضت جنگل «الوثائق والتقارير السرّية».

وثيقة رقم ٨ المؤرخة في ١٧ ربيع الاول ١٣٣٥ / ١٢ شباط ١٩١٦.

53. في الجنوب الغربي من رشت، وما سوله مدينة اتخذها كوجك خان مقرّاً له؛ خاصّة في المنعطفات الخطيرة نظراً لموقعها علىٰ الحدود بين گيلان واقليم مازندران.

54. سقطت بغداد في ١١ آذار ١٩١٧ وأعقبها سقوط القدس في كانون الأول من

نفس العام.

55. الحرب العالمية الاولى / ٣٨٢ ـ ٣٨٩.

56. كان وعد بلفور قد صدر في ٢ تشرين الثاني ١٩١٧ أي قبل سقوط المدينة المقدسة بشهر تقريباً.

57. تصوّر الوثيقة رقم ٧٦ / المؤرخة في ٢٦ ربيع الثاني ١٣٣٦ الوضع المأساوي في العاصمة طهران، فلقد اختفىٰ الخبز تماماً وسادت المجاعة بشكل رهيب، مؤكدة ان السفارة البريطانية تعمل ومن وراء ستار في مضاعفة هذه الحالة بشراء كل ما يعرض من قمح وخزنه لدفع الناس للجوء الىٰ السفارة البريطانية.

وبالرغم من كل ذلك فان الآمال تتجه صوب الشمال.. الىٰ حركة الغابة ويؤكد التقرير السّري ان هذا الوقت هو أفضل فرصة لاحتلال طهران واقامة حكم وطني ـ نهضت جنگل «الوثائق والتقارير السرّية / ٥٨».

58. رفض «محمود خان جوليده» قائد المجموعة الباسلة تلقي العلاج بعد نقله الىٰ قزوين قائلاً: «انني افضل الموت علىٰ أن تلتئم جراحي بعلاج أعداء الوطن!» سردار جنگل / ١٣٤.

59. كانت تعرف بـ «بادكوبه».. إنها حركة التاريخ عندما تغيّر المدن اسماءها!

60. فضح الروس بعد الثورة بعض المعاهدات السرّية كمعاهدة «سايكس ـ بيكو» فيما يخص توزيع أراضي الامبراطورية العثمانية.

وفي برلين اعلن مسؤول روسي حقيقة المعاهدة الروسية الانكليزية سنة ١٩٠٧ بشأن تقسيم ايران الىٰ ثلاثة مناطق للنفوذ بما في ذلك المنطقة المحايدة.

وقد اعلن تروتسكي الغاء تلك المعاهدة التي تصادر استقلال ايران.

61. صرح السير برسي سايكس: «لولا الاسناد البريطاني للحكومة المركزية في طهران لكان الحكم الملكي في خبر كان».

62. أشارت البرقية المؤرخة في ٢٧ آذار ١٩١٩ موجة من الشك بسبب اسلوب ترتيب اللقاء واشتراك ممثلين عن الحكومة المركزية حسب الادعاء الانكليزي ـ سردار جنگل / ١٦٤.

63. جاء استسلام حاجي أحمد كسمائي استجابة عمياء لنوازع منحطة في الذات البشرية، عندما تثّاقل الىٰ الارض لتكشف عن طبيعة لها قابلية مدهشة علىٰ النفاق المعقد.

64. يرتدي السكان في اقليم گيلان قبعة تشبه الطربوش الى حدّما.

65. انبرىٰ الشهيد حسن المدرس الىٰ معارضة الاتفاقية بشدّة وهاجت لذلك عواطف الرأي الإيراني فخرجت تظاهرات كبيرة سبقطت اثرها حكومة وثوق الدولة، والعجيب ان النسخة الاصلية من المعاهدة قد فقدت ولم يعثر لها على أثر حتىٰ الآن ـ تاريخ ايران السياسي المعاصر / جلال مدني.

66. سردار جنگل / ١٨٣، نهضت جنگل «الوثائق والتقارير السرّية / ٢٥».

67. وثيقة رقم ١٢٢ نهضت جنگل «الوثائق والتقارير السرّية / ١٢٢».

68. الوثيقة رقم ١٣٢ المؤرخة في ٢٧، ٢٨ ربيع الأول نهضت جنگل «الوثائق والتقارير السرّية» / ١٤٠.

69. سردار جنگل / ٢٠٠ ـ ٢١٥.

70. روسي يدعىٰ «كيكاتشنكوف».

71. في الاصل الفارسي «سرمست» ومعناها الثمل أي الذي اسكره النصر

المزيّف.

72. اشارة الىٰ معاهدة ١٩١٩ التي وقعها وثوق الدولة مع الانكليز.

73. يصدّر ميرزا كوجك خان رسائله بـ«هو الحق» / سردار جنگل / ٢١٩.

74. يشير كوجك خان الىٰ شنق الدكتور حشمت والقاء حاجي أحمد في السجن ونفي المجاهدين هنا وهناك.

75. سردار جنگل / ٢٢٠.

76. المصدر السابق / ٢٢٢.

77. افتىٰ آية الله حسن المدرس بما يلي: «بسم الله الرحمن الرحيم...

لا أرىٰ لدىٰ السيد ميرزا كوجك خان ولا لدىٰ الاشخاص الذين يشاطرونه الرأي باخلاص وصدق، شائبة تجاه دين البلاد وصلاحها، بل أنهم يقفون بوجه النفوذ الاجنبي وسياسته في گيلان وهو عمل مقدّس واجب علىٰ كل المسلمين.

أدعو الله أن يوفق جميع الايرانيين للسير علىٰ خطاهم.

وأذن فمن الواضح ان محاربة ومعاداة هذه الحركة هو مساعدة للكفر وعناد للاسلام». في شهر جمادى الثاني ١٣٣٨

سيّد حسن المدرس

حماسة ميرزا / ٧٨ بالاستناد الىٰ كتاب: «قيام جنگل».

78. العراق «نشأة الدولة / ٤٢٣».

79. موسوعة السياسة / ٢ / ٣٥٢.

80. اقدمت الحكومة المركزية علىٰ شنّ حملة اعتقالات واسعة طالت الذين أبدوا معارضتهم لاتفاقية ١٩١٩ وفي طليعتهم آية الله حسن المدرس. وفي

تلك الفترة ظهر الشيخ محمد خياباني وهو نائب تبريز في مجلس الشورى الذي قاد حركة معارضة مسلحة في تبريز ضد الفساد الحكومي وحاول التنسيق مع كوجك خان ولكن الاخير كان يمرّ بظروف قاهرة.

81. الحرب العالمية الأولى / ٣٨٩ عمر الديراوي.

82. جريدة ايران / ٨ حزيران ـ ١٩٢٠ ـ نهضت جنگل «الوثائق والتقارير السرّية» / ٢٧.

83. مجلة العربي الكويتية العدد ٤٢٥ / ١٩٩٤ ص ١٩٧ ـ قراءة في كتاب «سلام ما بعده سلام» ولادة الشرق الأوسط ١٩١٤ ـ ١٩٢٢.

84. منذ سقوط الحكم القيصري واثناء الحرب العالمية الأولىٰ نهضت حكومة مستقلة في آذربيجان بعد تقدم الجيوش العثمانية في جبهة القفقاز وفي سنة ١٩٢٠ قام كمال «آتاتورك» ببيع آذربيجان للبلاشفة وذلك عندما طلب من الاذربيجانيين السماح بدخول الجيوش الروسية بحجة آنهامتوجهة الىٰ مساعدة تركيا، وبعد أن دخل البلاشفة بهذه الحيلة الىٰ آذربيجان لم يخرجوا منها ولم يرسلوا جيوشاً الىٰ تركيا!

الرجل الصنم / ٤٠٨.

وقداستمرت المقاومة في آذربيجان ولم يحكم البلاشفة سوىٰ باكو العاصمة وكان أنور باشا القائد العام للجيوش العثمانية يتزعم المقاومة حتى مصرعه سنة ١٩٢٢ واستمرت المقاومة بعده حتى سنة ١٩٢٤.

مطالعات آسياى مركزي وقفقاز ٣ / ٣٢.

وقد ورد في الرسالة التي كانت مجرّد غطاء كاذب للانزال السوفيتي في الشواطيء الايرانية: اننا لم نعد نخشىٰ انگلترا، وان هدفنا الحالي هو تحرير

الشرق من تجاوزات البرجوازية الانكليزية.

سوف نذيق الانگليز مرارة الموت ونعمل على تحرير «ايران، آذربيجان، تركيا، افغانستان والهند».

ان من الضروري ان تتضامن كل الشعوب وما دامت البرجوازية، الانكليزية في أوج قدرتها فليس لنا أمل في السلام.. لقد بدأ تحرر الشرق من النفوذ الانكليزي.

لقد اطاح الآذربيجانيون بالحكومة البرجوازية التي كانت وسيلة بايدي الانكليز واقامت مكانها حكومة سوفيتية..

ولقد اعلنت ايها الرفيق كوجك خان الحرب على انگلترا من أجل انقاذ الوطن من قبضة اللصوص الانگليز..» / سردار جنگل ٢٢٧.

85. جاء في التفسير الرسمي للغزو السوفيتي:

مطاردة اعداء الثورة من الحرس الابيض وفلول الجنرال المتمرّد «دينيكن» وحماية الخطوط التجارية عبر بحر الخزر - سردار جنگل / ٢٣٧.

86. لم تتغلغل الشيوعية في اقليم گيلان أبداً حتى بعد التجمع الشيوعي الذي تم تحت ظلال الحراب الروسية، ولذا فان اعتبار هذا الاجتماع - الذي هو أقرب ما يكون للتهريج السياسي - تأسيساً هو تعسّف واضح.

«وحزب العدالة قد نشأ سنة ١٩١٧ بعد ثورة اكتوبر الروسية وهو تنظيم عمالي بقيادة بيشاوري له فروع في تبريز، اردبيل، زنجان، مازندران، قزوين، طهران ومشهد.

وفي حزيران ١٩٢٠ اجتمع ممثلوا الحزب في انزلي على البحر

واعتبروا اجتماعهم مؤتمراً تأسيسياً للحزب الشيوعي الايراني».

موسوعة السياسة ٢ / ٣٥٢.

87. الماني انتمىٰ للبلاشفة لأهداف انسانية، تأثر بشخصية ميرزا كوجك خان، وأصبح من ابرز المخلصين له، رافق كوجك خان حتى النهاية.

ولعلّ انسانية الثائر الايراني كثوري يسعىٰ لخلاص المقهورين هو الجانب الذي بهر «غافك» الذي رافق كوجك خان في كل المنعطفات الخطيرة.

88. ملك ايراني اشتهر بعدله.

89. بريطانيا وفرنسا واميركا بعد نهاية الحرب العالمية الأولىٰ.

90. لم يكن كوجك خان متحمساً فيما يبدو لاعلان الجمهورية بدليل بقاء الجمهورية دون تسمية رئيس ورأي كوجك خان ان المجلس التأسيسي الذي سينتخبه الشعب هوالذي يحدد شكل وهويّة النظام فيما بعد.

وقد جاء اعلان الجمهورية في زمن شهد تأسيس هذه النظم في القفقاز.

على أن الاعلان الذي اشتمل على تسعة بنود جاء متوازناً الىٰ حدّما وقد حقق ولاشك بعض أهداف ثورة الغابة وجسّد خطّها خاصّة البند الأول الذي منع بشكل صريح تنفيذ البرنامج الشيوعي / سردار جنكل ٢٤٤ ـ ٢٤٥.

91. في ١٩ رمضان ١٣٣٨ صدر بيان في التشكيله القيادية وقد امسك كوجك خان بالقيادة العامّة ورئاسة لجنة الحرب والدفاع وبهذا يكون قد امسك بمسار الثورة وصانها من أخطار الاحتواء أو الأختراق الاجنبي.

سردار جنكل ٢٥١.

92 . كان ميرزاكوجك خان قد أرسل مندوبين الىٰ باكو لاطلاع «نريمان نريمانوف»، رئيس مجلس السوفيت في جمهورية القفقاز علىٰ ما يقوم به حزب العدالة من تخريب، وأن نشاطهم سوف يلحق اضراراً بالثورة بل يهدد استمرارها غير أن نريمانوف وبدل الاصغاء الى النصائح كان يحاول التشكيك في توجهات كوجك خان، وقد ظهر فيما بعد أن قيادة باكو كانت تخطط لحركة انقلابية للاطاحة بقيادة كوجك خان وتوجيه مسار الثورة بما يخدم الاهداف الشيوعية. سردار جنگل / ٢٦٧.

93 . كتبت صحيفةايران بتاريخ ٦ تموز ١٩٢٠ مايلي: «تفيد الانباء عن استياء ميرزاكوجك خان وانصاره من تصرفات بعض الرموز السوفيتية والوافدين الاجانب... ويعلن أهالي گيلان رضاهم عن حضور ميرزاكوجك ويعتقدون ان غيابه سيجعل من الاوضاع شبيها لما يحدث في باكو».

المصدر السابق / ٢٦٧.

94 . نهضت جنگل «الوثائق والتقارير السرّية».

95 . سردار جنگل / ٢٧٦.

96 . المصدر السابق / ٢٧٧ وكان أنور باشا عمّه الذي يصغره سنّاً «خليل باشا» وقد انحط الأخير الىٰ اسوأ ما تصله النذالة في التحاقه بمصطفىٰ كمال، بل وقدّم زوجته اليه! / الرجل الصنم / ٤٠٩.

97 . بريطانيا.

98 . اشارة الىٰ التدخل السوفيتي.

99 . سردار جنگل / ٢٧٩.

100 . حماسه ميرزا / ١٠٣.

101 ـ حصل اللقاء في قرية «آق بابا» في ضواحي قزوين.

ميراث ماندگار / ١٥.

102 ـ المصدر السابق.

103 ـ في ٢٦ شبطا ١٩٢١ وقع الجانبان الايراني والسوفيتي أول اتفاقية بعد الثورة البلشفية في روسيا، وبموجب هذه الاتفاقية أعلن عن الغاء اتفاقية «تركمن جاى» التي منحت روسيا القيصرية امتيازات واسعة.

وقد سبق توقيع الاتفاقية محادثات بين تشيتشرين الروسي ومعاونه كاراخان من جانب والسفير الايراني «علي قليخان (مشاور الممالك).

وفي ٢٣ آب صادقت اللجنة المركزية في الاتحاد السوفيتي على الاتفاقية وفي تشرين الثاني صادق مجلس الشورى الايراني عليها.

الغت الاتفاقية جميع امتيازات روسيا القيصرية السابقة واعتبرت سنة ١٨٨١ اساساً في رسم الحدود المشتركة بين البلدين، وبموجب الاتفاقية استعادت ايران جزيرة «اشفارده» وجزر صغيره أخرىٰ حولها وكذلك قرية «فيروزه».

وجاءت الاتفاقية في ٢٦ فصلاً. منح الفصل ١١ فيها البلدين حرّية الملاحة في بحر الخزر، كما حدّد الفصل ١٦ حقوقاً متساوية لاتباع الدولتين ممن يقيمون علىٰ ارض جارتهم.

وقد حرّرت الاتفاقية باللغتين الروسية والفارسية واعتبرت كل منهما نسخة اصلية معتمدة في تفسير أية مادّة.

كما حدد الفصل ٢٥ مدّة ثلاثة اشهر كسقف زمني أعلى للمصادقة عليها حيث يتم تبادل النسختين في طهران.

مطالعات آسياي مركز وقفقاز ٢ / ٢٦٩ ـ ٢٧٩.

مجموعة معاهدات دو جانبه دولت ايران ١٣٤٩هش / ١٩٧٠.

104. من أهل سلماس نشأ في القفقاز ودرس الهندسة الكهربائية في تفليس، التقىٰ «مضطر الدين شاه» لدىٰ عوده الاخير من أوربا عن طريق باكو، وعرض عليه أن انشاء محطّة كهربائية في مشهد.

غادر مشهد الىٰ طهران بعد سنة ونصف واشتغل في التجارة بين روسيا وايران؛ ومارس عمله ايضاً كمهندس في طهران.

وقف الىٰ جانب حركة المشروطة وكان له دور بارز في الاحداث ففي بعد سقوط حكومة مشير الدولة الىٰ القفقاز فغادرها الىٰ روسيا ومنها الىٰ فرنسا ثم المانيا.

وفي بداية الحرب العالمية الأولىٰ انضم الىٰ اللجنة الايرانية التي يرأسها «تقي زاده» في برلين وعملت اللجنة علىٰ مساعدته في السفر الىٰ اسطنبول.

خدم في تركيا مع القوّات العثمانيه التي كانت تحارب روسيا القيصرية.

عاد الى روسيا بعد اندلاع الثورة البلشفية، وانتمىٰ لحزب العدالة في «باكو».

وبعد الانقلاب على ميرزا وماتلاه من مصالحة بين الانقلابيين وكوجك خان ظهر حيدر عمو أوغلي في مسرح الاحداث في الغابة، بعد أن زجت به آذربيجان بتوصية من نريمانوف الرئيس الاذربيجاني ويعدّ «عمو أوغلي» المسؤول الأول عما حصل من انشقاقات في حركة الغابة بعد ان كان يمارس نشاطه في نشر الافكار الشيوعية سرّاً ثم علانية بدعم من السوفيت.

حاول كوجك خان القبض عليه ومحاكمته ولكن الاحداث لم تمهل قائد الغابة اذ لقي كوجك خان مصرعه في الثلوج.

وبعد انطفاء شعلة الثورة خشي الذين كانوا يحتفظون بعمو أوغلي من تبعات ذلك فاقدموا علىٰ تصفيته.

وقد انتقدت موسكو الحزب الشيوعي في آذربيجان علىٰ ارسالها أوغلي الىٰ ايران، بعد توقيع المعاهدة السوفيتية الايرانية.

حماسه ميرزا / ١٢٢.

105. سردار جنگل / ٣٦٧.

106. ميراث ماندگار / ١٥١.

107. المصدر السابق.

108. المصدر السابق.

109. ورد هذا المعنىٰ في رسالة لميرزا كوجك الىٰ شخص يدعى «يوسف ضياء بيك» وقد جاء فيها:

«ان اصلاح الاوضاع الخطيرة يحتاج الىٰ يد غيبية.. ولقد قدم أولئك (الانقلابيون) خدمات كبرى للانكليز.. خدمات يعجز الانكليز عن انجازها بآلاف الجنود والمدافع.. من يدري فلعل أيادي الانكليز ـ وأنت تعرفهم جيداً ـ تعمل معهم؟! سردار جنگل / ٣٠٩ ـ ٣١٢.

110. المصدر السابق.

111. مطالعات آسياى مركزي وقفقاز ٢ / ٣٠.

112. المصدر السابق ٢ / ٣٢.

113. المصدر السابق.

114 . اسم الكتاب الذي صدر باسم رضا خان!!

115 . سردار جنگل / ٣٣٣.

116 . سردار جنگل / ٣١٢.

117 . المصدر السابق.

118 . والنص باللغة المحلّية في اقليم گيلان (الگليكية):

چقد جنگل خوسى... ملت واسى... خستنابوستى مى جان جاننا... ترا گوما ميرزاكوجك خانا.

خدادانه كه من... نتانم خفتن... از ترس دشمن مى ديل آو يزانا... تراگو ما ميرزاكوچك خانا.

چيره زودتر نائى ـ تندتر نائى ـ تنها بنائى گيلان ويرانا تراگوما ميرزا كوچك خانا.

بيا اى روح روان ـ تى ريشا قربان ـ بهم نوانان تى كاس چومانا تراگوما ميرزاكوچك خانا.

اما رشت جغلان ـ ايسيم تى فرمان ـ كنيم امه جان تى پاجير قربانا ترا گوما ميرزاكوچك خانا.

وقد لحن ليكون بداية لمسلسل تلفزيوني تحت عنوان «كوجك جنگلي».

119 . سردار جنگل / ٢٦٠.

120 . المصدر السابق / ٣١٩.

121 . المصدر السابق / ٣٢٣.

122 . المصدر السابق / ٣٥٣.

123. ميراث ماندگار / ١٥٠.

124. سردار جنگل / ٣٥٩.

125. المصدر السابق / ٣٥٥.

126. المصدر السابق.

127. كانت ايران تعيش هذه الحالة قبل العهد الصفوي حيث تنهض هنا وهناك حكومات متفرّقة.

128. سردار جنگل / ٣٦٢.

129. المصدر السابق / ١٩٩.

130. نهضت جنگل «الوثائق والتقارير السرّية» / المقدمة ٢٧.

131. سردار جنگل / ٣٦٨.

132. عيّن سيد ضياء بعد تسنمه رئاسة الوزراء رضا خان وزيراً للحرب وكان يتصور ان الاخير سيكتفي بهذا المصب؛ ولم يدر في خلده أن الدوائر الانكليزية كانت تمهد له الطريق الىٰ ماهو أبعد من ذلك رئاسة الوزراء أو رئاسة الجمهورية على غرار ما يجري في تركيا.

ومن المعروف ان رضا خان تقدّم اثناء تولّيه الحكومة الىٰ مجلس الشورى بمشروع الجمهورية! ولكن أحبط بعد تصدّي الشهيد حسن المدرس لعلمه بعلاقته المشبوهة بالانكليز.

133. لم يكن قوام السلطنة سوىٰ العوبة بايدي الانكليز ريثما يتم التخلص من كوجك خان والقضاء على ثورة الغابة؛ اذ لم يلبث سوىٰ شهر واحد تقريباً بعد مصرع الاخير.

134. تضمنت رسالة السفير الروسي الىٰ كوجك خان اشارة تؤكد الحاح رضا خان

بتصفية المسألة الگيلانية بالعنف.

135. أحد الذين غدروا بكوچك خان وخانوا الميثاق. منحته الحكومة الأمان ثم القي القبض عليه مع رفاقه بعد دخوله حمّاماً عامّاً وسيقوا عراة الىٰ ساحات الاعدام.

136 . لقي الزعيم الكردي حتفه علىٰ يد أحد رفاقه وكان مستاءً من خيانة خالو قربان فاطلق عليه النار في آذربيجان الايرانية / سردار جنگل / ٣٧٥.

137 . «سردار سبه»: قائد الجيش أو زعيم.

138 . سردار جنگل / ٣٧٦.

139 . المصدر السابق / ٣٧٧.

140 . المصدر السابق.

141 . حماسه ميرزا / ١٣٤.

142 . سلّمت مجموعة من الجنود الهنود نفسها بعد الهجوم العام الذي شنّته القوّات الحكومية، فاعتقل افرادها وسيقوا مخفورين الىٰ بغداد حيث تم شنقهم هناك / سردار جنگل / ٣٨٢.

143. لم يكن كوچك خان ليثق بالوعود الحكومية وقد نصح رفاقه في الجهاد بالاّ يصغوا أبداً الىٰ وساوس عملاء الانگليز؛ ويكفي المصير المؤسف الذي واجهه الدكتور حشمت علىٰ زيف وخداع حكومات طهران في ظل النفوذ الانكليزي.

144 . سردار جنگل / ٣٨٠ ـ ٣٨١.

145 . المصدر السابق / ٣٨٣ ـ ٣٨٤.

146 . منطقة جبلية بين ماسولة علىٰ حدود گيلان و «خلخال».

147 ـ اصدقائي! ان الحكومة لاتنشد سوىٰ القبض علي.. ولذا فانا لا أودّ أن يلحقكم ضرر بسببي.. انني اسمح لكم بالتفرّق والذهاب أينما تشاؤون. حماسه ميرزا / ٧٨.

148 ـ قال سيدنا الحسين عليه السلام لاصحابه عشية عاشوراء:

«ألا واني أظنّ يومنا من هؤلاء الاعداء غداً، واني قد اذنت لكم، فانطلقوا جميعاً في حلّ، ليس عليكم مني ذمام.. وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملا، وليأخذ،كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي، فجزاكم الله جميعاً خيراً، وتفرّقوا في سوادكم، ومدائنكم، فان القوم انما يطلبونني ولو أصابوني لذهلوا عن طلب غيري». تاريخ الطبري ٦ / ٢٣٨.

149 ـ سردار جنگل / ٣٨٤ ـ ٣٨٦.

وفي اللقاء الاخير قال ميرزا لزوجته:

الخطر يحدق بنا من كل صوب، اننا نقف في مهبّ عاصفه من الحوادث.. المستقبل مبهم ومظلم ومن المحتمل أن يكون اكثر ظلاماً.. وليس لك ذنب إلاّ انك زوجتي..

ليس من اللائق أن تبقين هكذا معلّقة.. أولا سمح الله تتعرضين للخطر.. انت ما تزالين في أول الشباب.. ولم تقتطفي بعد زهرة من حديقة الحياة..

في الوقت الذي يكون «الطلاق» حلال كل هذه المشكلات ويمكنك بعد ذلك وبحكم الشرع والعرف أن تبدأي حياة جديدة.

وتجيب زوجته:

ـ انني لا اقبل اقتراحك هذا.. لا أريد أن يتهمني الناس بالغدر وعدم

الوفاء.. لسوف يمقتني الناس.. لسوف يقولون لقد كانت منسجمة مع زوجها ايام الرخاء فلم انقلب الزمان على زوجها اظهرت له نشوزاً.

ربما يوجد من بين النساء غادرات، ولكن الاكثرية يقفن الى جانب المضحين الذين ينشدون الحق..

انني لا آسي علىٰ شيء مما مضى راضية بما سيجري عليّ في المستقبل.. ذلك انني متوكلة على الله العادل الرؤوف راضية بمشيئته.

لقد نشأت في ظلّ حياة بسيطة كريمة مقرونة بالفقر والقناعة؛ لا أعرف الرياء والزيف، معتقدة أن الله ربي وهو منبع حبّي وبهجتي؛ معتقده ان اعظم لذّة في الوجود هي راحة الروح وهدوء الضمير..

اذا بقيتَ حيّاً فانني أحمد الله الذي سيبعث في كياني روحاً جديدة، وإن توفّاك الىٰ رحمته فقد وقع الطلاق الالهي وفي كل الاحوال سيكون من المستحيل ان اقترن بزوج بعدك؛ وتأكد انني سأبقىٰ وفية لك حتىٰ آخر لحظة في حياتي.

ولقد هزّ الموقف كوجك خان بشدّة وظهر عليه التأثر قائلاً:

ينبغي أن يتعلّم المرء دروس الأدب والانسانية من امثالك.. ذلك ان روحك وقلبك يتدفقان بحقائق الحياة... وقلّما رأيت امرأة في مثل سلامة نفسك وادراكك.. ومع أنك ابنة فلاح ولكن منطقك ينطوي على حقائق عظيمة...

انني اشعر بالخجل لأنني لم اوفر لك حياة تليق بشأنك.. وانني اشكرك علىٰ وقوفك كالجبل في مثل هذه الظروف والشدائد.

وانك اوّل من سينصفني ويبرأني من كل التهم الباطلة خاصّة وانت لا

تملكين ذخيرة لمستقبلك المبهم الغامض.. انني راض عنك لأنك لم توجهي أبداً لوماً ولم تؤاخذيني على انني لا أملك شيئاً.. وانني ادعو الله أن يرضى عنك...

اقدّم اليك الشيء الوحيد الذي أملكه.. هذه الساعة الذهبية هدية أنور باشا... انني أهبها لك ليذكرك جرسها كلما دق بحياتناالمشتركة.. بزوجك المعذّب..

ثم ودّع زوجته.. وكانت الدموع تموج في عينيه كسماء ممطرة.

سردار جنگل.

150 . «بوران»: العاصفة الثلجية أو المطرية.

151 . عبدالحسين خان ثقفي.

152 . سردار جنگل / ٣٨٧.

153 . غادر يهوذا الاسخريوطي بالسيد المسيح قبل صياح الديكة.

154 . كلمة مأثورة للامام علي عليه السلام / نهج البلاغة.

155 . المصدر السابق.

156 . تعني «ميرزا» في الثقافة الايرانية ان الملقب بها ينحدر من نسل علي عليه السلام من جهة الأم وميرزا اختصار لـ«أمير زاده» وهي تعني: ابن أمير المؤمنين.

157 . لقبه حسن خان الاصلي: كيش دارأى.

158 . اسم فارسي عريق يرتقي معناه الى «الفيلسوف» و «الحكيم».

159 . كان هدف كوجك خان الوصول الى خلخال حيث تتزعم السيدة «عظمت خانم فولادلو» عشائر «شاطر آنلو» التركية.. وعندما سمعت الاميرة التركية بنيّة كوجك خان جازفت بارسال عدّة مئات من الفرسان لاستقباله

ونجدته، ولكن العواصف الثلجية العاتية حالت دون ذلك.

سردار جنگل / ٣٨٨.

160 . اسمه رضا اسكستاني: سردار جنگل / ٣٩٠.

161 . تقول الاسطورة الايرانية: ان شقائق «لالة» الحمراء انما نبتت من دماء الشهداء و «لالة» هي شقائق النعمان وهناك انواع منها تظهر عادة في الربيع في الصحاري والجبال وفي المناطق الرطبة وأصبحت رمزاً للشهداء في ايران.

162 . اشيع ابّان حركة المشروطة «الحركة الدستورية» ١٩٠٦ «بان القاجاركانوا منخرطين في الجيش الأموي.. وقيل ان الخنجر الذي استخدم لقطع رأس الحسين موجود في حوزة حاكم طهران «علاء الدولة».

ايران من الداخل / ٦٩.

163 . سردار جنگل / ٣٩١. وقد عنّف «علي اكبر خان سنجابي» وهو من الشخصيات الكردية «خالو قربان» عندما التقاه في أحد شوارع طهران «ناصر خسرو» أمام جمع من الاكراد قائلاً له: لقد لطخت الجبين الكردي بالعار وهو يشير بذلك الىٰ تقديمه رأس ميرزا كوجك خان «وليّ نعمتك» الىٰ العدو؟!

# « الثورة في صور »

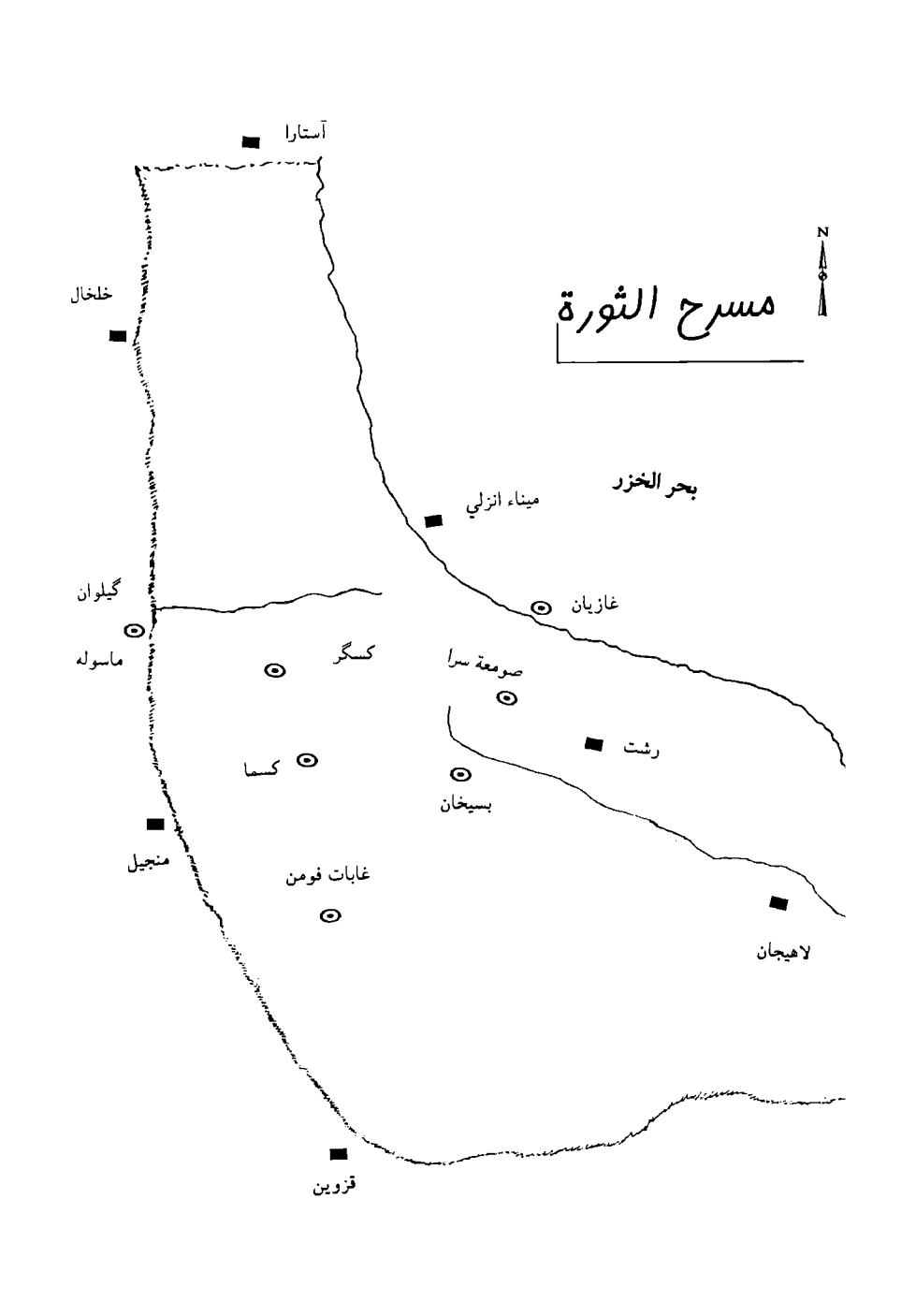
مسرح الثورة
N
آستارا
خلخال
بحر الخزر
ميناء انزلي
غازيان
گيلوان
ماسوله
كسگر
صومعة سرا
رشت
كسما
بسيخان
منجيل
غابات فومن
لاهيجان
قزوين

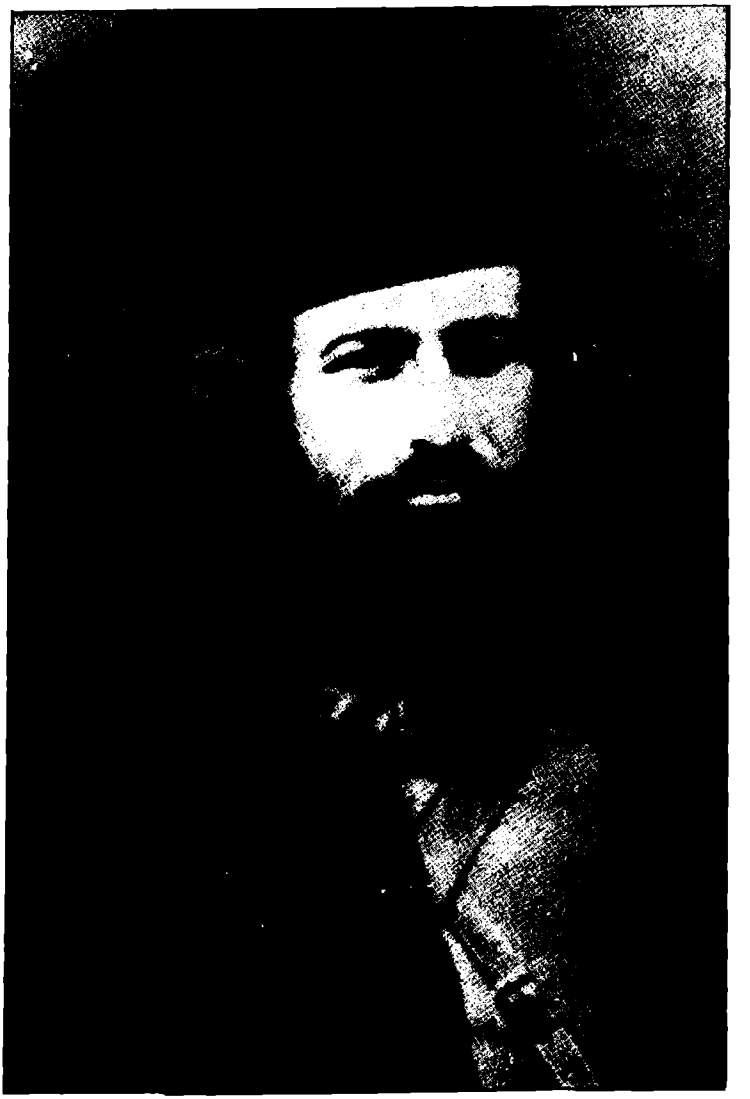

الشهيد ميرزا كوجك خان

مشهد في اعدام ثوّار الغابة

في زيّه الذي لم يفارقه طوال عمر الثورة

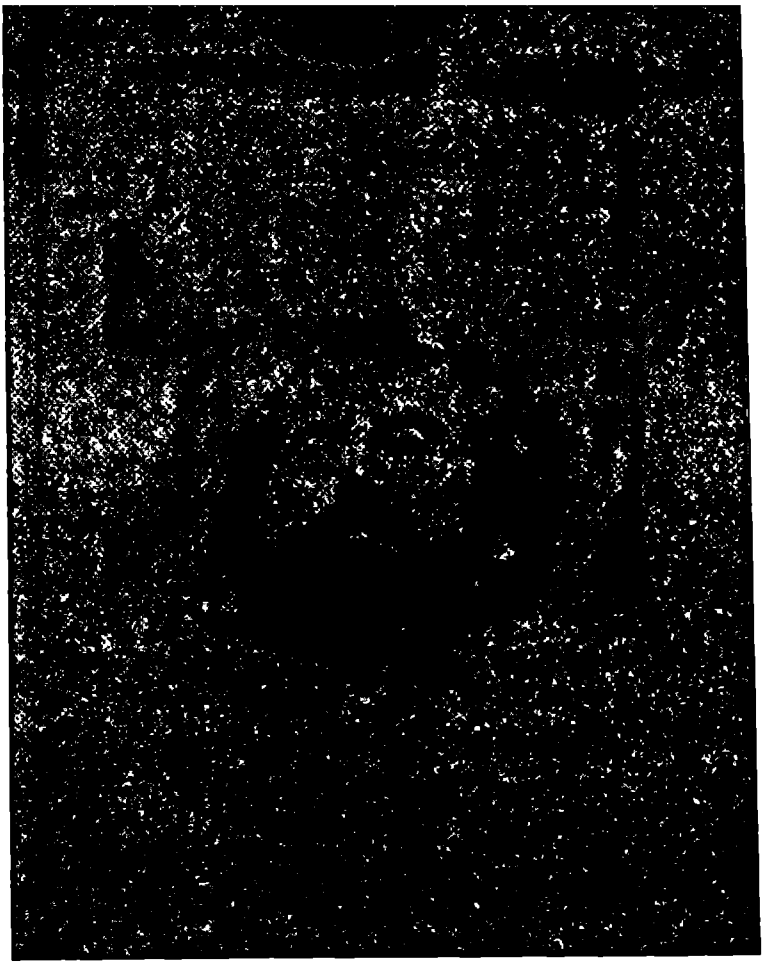

رأس الثائر الشهيد.. وهج من كربلاء

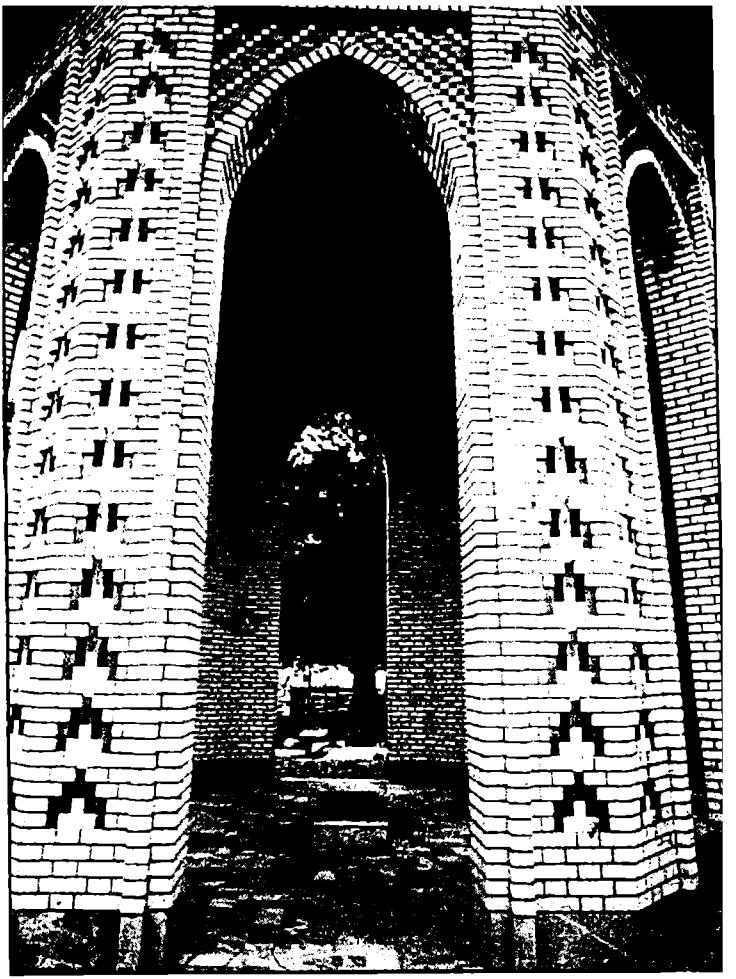

رخامة المرقد: لبّىٰ كوجك خان نداء الاسلام، وحوّل صوت المقهورين في ايران الى رصاص من أجل أن يسمع العالم!

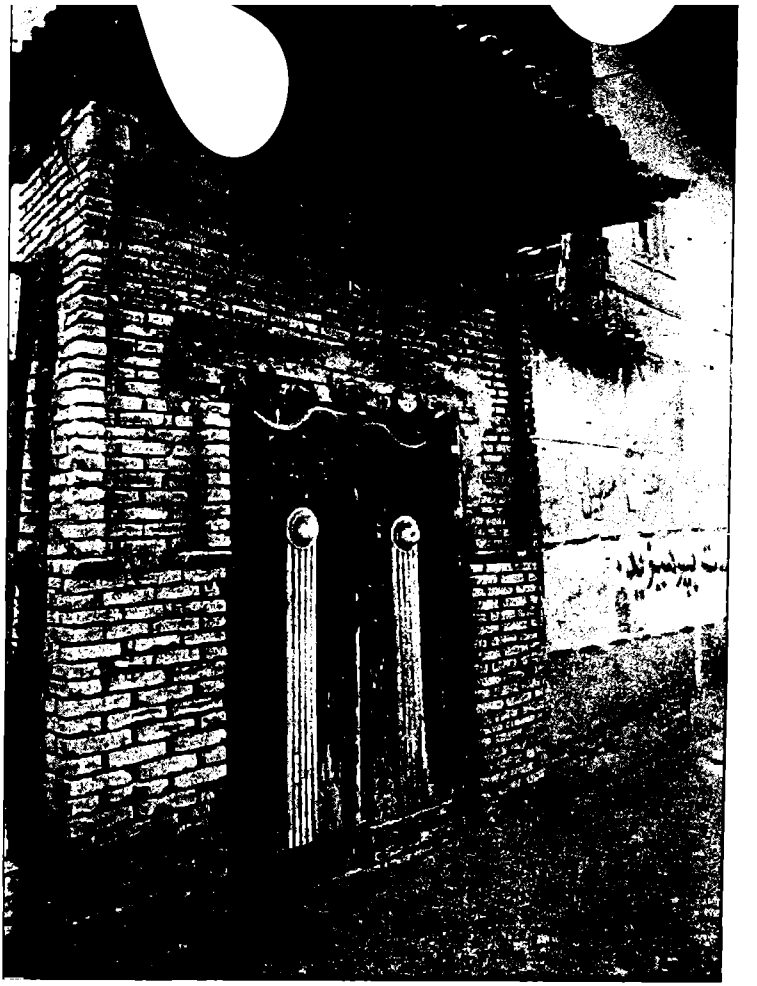

منزل كوجك خان في ماسوله قضىٰ فيه
الشهيد أعواماً من عمره

● Tue. 2 Dec. 1921 ● ۲ ذو القعدة ۱۳٤۰ ●

# ۱۱ شنبه

## یازدهم آذر ماه

۱۳۰۰/۹/۱۱

میرزا کوچك خان.. یلقیٰ
مصرعه وسط الثلوج.. ویقطع
رأسه..

انتهت الثورة

شهادت میرزا کوچک خان جنگلی

# المحتويات


الاهداء..... 5

المدخل..... 7

ايران.. المشهد السياسي ..... 11

المشروطة.. البحث عن هوّية..... 16

تقاسم النفوذ ... احتواء المشروطة..... 21

الاختراق الانكليزي ..... 27

العدوان الروسي ..... 29

الحرب العالمية ..... 32

اتفاقية 1919..... 35

الهوامش..... 41 ـ 60


## ثورة الغابة / ١٩١٤ ـ ١٩٢١ بقيادة ميرزا كوجك خان

## الفصل الأول

«63 ـ 98»


ميلاد رجل ..... 65

گيلان .. غابات ومطر..... 71

كانوا سبعة عشر! ..... 77
دروب الثورة ..... 79
الغابة.. أعراس ومآتم ..... 81
القوّة والاستقامة ..... 83
وهزيمة لبيدق آخر ..... 83
نسيم الحرّية ..... 85
الطريق الدامي ..... 88
موقف الغابة من الصراع العالمي ..... 95

## الفصل الثاني

«99 ـ 128»

ثورة اكتوبر الكبرىٰ ..... 101
الطريق الىٰ آبار البترول ..... 104
الهدنة ..... 109
وثوق الدولة ..... 112
الانفجار الداخلي ..... 116
معاهدة لبيع ايران!! ..... 120
مصالحة مع الحكومة ..... 122

## الفصل الثالث

«129 ـ 162»

منافقو القرن العشرين ..... 131
موقف الغابة ..... 133
رسالة من لنكران..... 136
الاجتياح الاحمر ..... 139
لقاء في انزلي.. حربة النفاق الدولي..... 142
ميلاد الجمهورية..... 145
تيار النفاق الشيوعي..... 148
الانقلاب الاحمر..... 150
مؤتمر الشرق ..... 152
عاصفة الاحداث ..... 153
لينين يصافح الانكليز..... 158

## الفصل الرابع

«163 ـ 200»

مصرع ثورة ..... 165
الاستقطاب.. محنة الاسلام المقاوم..... 167
التعهد السوفيتي... شعارات ثورية تحت الاقدام..... 173
موقف كوجك خان ..... 175
خريف الثورة ..... 176
قرار الحسم..... 177
حادثة 26 محرّم 1340 هـ..... 180

الانفجار الاخير.. شظايا الانطفاء ..... 182
مفاوضات مع وزير الحرب..... 184
الخريف.. فصل الرحيل ..... 188
رسالة للتاريخ... والاجيال ..... 189
اللقاء الاخير..... 190
الطريق الصعب ..... 191
مشهد من كربلاء..... 195
الهوامش ..... 201 ـ 219
الثورة في صور..... 221
المحتويات..... 237